

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

العلاقات التونسية المغربية في الفترة الحديثة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

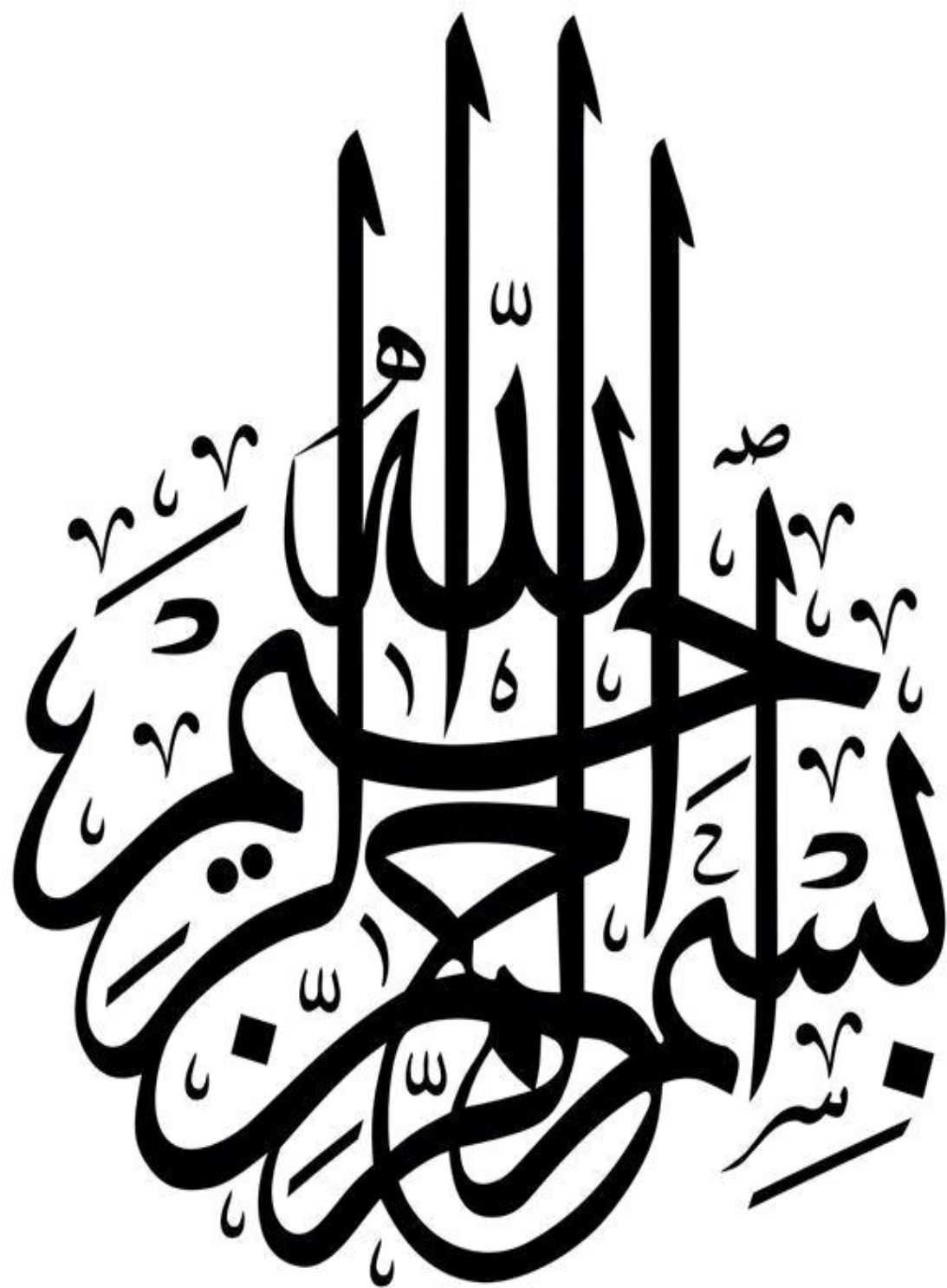
من إعداد الطالب:

❖ لشـهـب السـنة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
أ.د/ بن قايد	رئيسا	جامعة غرداية
أ.د/ بالحاج ناصر	مشرفا ومقررا	جامعة غرداية
د/ نواصر نصيرة	مناقشا	جامعة غرداية

الموسم الجامعي: 2024 / 2025



إِهْدَاء

الى العزيز الذي حملت اسمه فخرا.. الى من كلله الله بالهبة والوقار الى من حصد الاشواك عن دربي، وزرع لي الراحة بدلا منها

الى ابي، الذي لم يحني ظهره مما كان يحمله، بل انحنى ليحمله، كان يحمل همومي على كتفيه، كنت أخفى عن نفسي بعض المطالب، فكان هو يكشفها ويحققها دون ان اطلب.

شكرا لكونك ابي

الى من علمني الاخلاق قبل ان اتعلمها، الى الجسر الصاعد به الى الجنة الى اليد الخفية التي ازلت العقبات عن طريقي.. الى صاحبة الدعوات التي تحمل اسمي ليلا ونهارا.

امي محبوبتي وملهمتي

الى من وهبني الله نعمة وجدهم، الى مصدر قوتي، وارضي الصلبة وجدار قلبي المتين .. اخوتي واخواتي

الى من ان ضاقت بي الدنيا، وسعت بخطاهم وان سقطت كانوا أول رفعوني بكلاماتهم

الى من رافقني بالقلب قبل الدرب ... عائلتي واصحابي واحبتي

الى أولئك الذين يحملون أحلامهم فوق أكتافهم رغم القصف، ويتحدّون الظلام بنور العلم،

إلى من علّمونا أن الكرامة لا تُقهر، وأن الحصار لا يكسر الروح، إلى طلبة غزة..

رحم الله الشهداء، وشفى الجرحى، وفكّ قيد المظلومين.

ها انا اليوم اطوي صفحة من التعب وسجلت في تاريخي فخرا لا ينسى

لم اعد أتساءل عن ملامح الوصول، فقد رايتها في عيوني

تلاشت غيوم التعب، وابتسم الأفق بعد عتمة الانتظار

هاهي الخطوة، التي كانت تتعثّر أحيانا قد وجدت مستقرها في قمة الإنجاز

وبين طيات الطريق...تنفست سلاما وفرحا ومتنان.

واخر دعواهم الحمد لله.... الحمد لله رب العالمين

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، من
حث الأمة على طلب العلم وجعل ثماره لذة، ونوره الضياء والنور.

نتقدم شكراً خالصاً مليء بالتقدير والاحترام إلى الأستاذ بالحاج ناصر الذي كان لي نعم السند والمدد في مساري بحثي
فجزاه الله عنا خير الجزاء.

كما نتوجه بالشكر إلى الأساتذة الكرام في كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية خاصة أساتذة قسم التاريخ.

كما لا يفوتنا أن نقدم خالص التقدير والامتنان إلى الأستاذ أحمد بوسعيد من جامعة أدرار، الذي قدم لنا المصادر
التي تخص الدراسة.

وإلى الأستاذة بوحميذة خيرة، استادة في ثانوية أولاد قويدر حاج الشبيب التي لم تبخل علي في تقديم المساعدة.

شكراً مني واعترافاً لكل من ساهم في تشجيعي لإنجاز هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد.

قائمة المختصرات

ط	طبعة
ص	صفحة
تح	تحقيق
تق	تقديم
تر	ترجمة
مج	مجلد
ج	جزء
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
مر	مراجعة
در	دراسة

مقدمة

إن الدارس لتاريخ المغرب العربي الحديث يقف عند جملة من الأحداث التي عرفتها هذه المنطقة، وتحديدًا تونس والمغرب الأقصى، فبحكم قرب هذين البلدين جغرافيًا كان لابد أن تجمع بينهما علاقات، في مختلف المراحل والأطوار والمجالات، حيث مست النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. علما أن تونس كانت تابعة رسميًا للدولة العثمانية منذ سنة 1574م، ومن حينها عرفت عدة تغيرات في مسار الحكم ابتداء من عهد الباشوات إلى غاية حكم البايات الحسينيين. لكن خصوصية المغرب الأقصى في أنها لم تكن تخضع للحكم العثماني بل كانت تحت ظل حكم الاشراف السعدين والعلوين.

في خصم هذه الاحداث ما يمكن قوله هو ان العلاقات التي جمعت البلدين ليست وليدة هذه الفترة، انما كانت في فترات سابقة غير انه ما يهمنا الان طبيعة العلاقات بين البلدين في القرن 16 وإلى غاية بداية قرن 19م، علما ان هذين البلدين عانيا من مختلف الازمات سواء من الناحية السياسية الاقتصادية أو الاجتماعية منها، والتي اثرت بشكل مباشر على الأوضاع العامة بهذه البلدين، حيث شهدت عدة تغيرات من الناحية الاقتصادية والذي كان في بداية الامر يعتمد الدرجة الأولى على الزراعة التي تعد مصدر عيش كل هذه البلدان. كما أنها عرفت التطور بشكل تدريجي بعد وفود عدد كبير من الأندلسيين إلى كل من تونس والمغرب الأقصى، والذين أسهموا بشكل كبير في تحقيق الرقي الاقتصادي وهذا ناهيك عن الحياة الثقافية هي الأخرى، حيث عرفت العديد من التطورات خاصة تطور العلاقة في الجوانب العلمية وظهور رسائل كان لها دور في تقريب هذه البلدان، بالإضافة إلى العلماء الذين أسهموا بشكل لافت للنظر في تكوين جيل متعلم،

1- حدود الدراسة:

. الحد الزمني: تتناول هذه الدراسة من فترة (1574م - 1881م) من بداية سيطرة العثمانية على تونس 1574م الى نهاية قرن تاسع عشر 1881م عندما أصبحت تونس تحت حماية الفرنسية.

الحد المكاني: شملت هذه الدراسة على اية تونس والمغرب الأقصى.

2- أسباب اختيار الموضوع:

لقد ساهمت العديد من العوامل في اختيار موضوع الدراسة منها ما هو ذاتي والآخر موضوعي المتمثلة في:

- شغفي بدراسة العلاقات التونسية مع المغرب الأقصى في التاريخ الحديث، والوقوف على طبيعة العلاقات التي ميزت البلدين.
- على الرغم من الأهمية التاريخية لهذه العلاقات فان الدراسات الأكاديمية حولها لاتزال محدودة مقارنة الدراسات الأخرى.
- تسليط الضوء على العلاقات التونسية المغربية في الفترة الحديثة في بحث أكاديمي يشرف جامعة غرداية، بكونها غير مطروح، لم تسبق فيها دراسة.

3- الإشكالية:

عرفت العلاقات التونسية والمغربية في الفترة الحديثة عدة تغيرات تعد انعكاسا لوضعية البلدين، فما هو واقع العلاقات التونسية المغربية في الفترة الحديثة ؟

بالإضافة الى إشكاليات فرعية منها:

- فيما تمثلت الأوضاع العامة للبلدين خلال قرن السادس عشر والسابع عشر؟
- ماهي طبيعة العلاقات بين البلدين؟
- ما هو الدور الذي لعبته الدولة العثمانية في هذه العلاقات؟

4- خطة البحث:

وللإجابة على الإشكالية المطروحة قمنا بتقسيم البحث إلى فصل تمهيدي واثنين فصول رئيسية وخاتمة والتي نذكر فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا الموضوع، وبالإضافة إلى اعتمادنا على مجموعة من الملاحق متزاوجة بين جداول توضيحية وخرائط ورسائل لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة.

تطرقنا في فصل تمهيدي إلى الأوضاع العامة التي عرفها هذان البلدان خلال القرن السابع عشر الميلادي سواء من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ودورها في تحديد العلاقات مع بعضها البعض.

في حين أن الفصل الأول صيغ بعنوان العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التونسية والمغربية، والذي شمل عنصرين حيث تناولنا في العنصر الأول مظاهر العلاقات الاقتصادية، في حين تحدثنا في العنصر الثاني على مظاهر العلاقات الاجتماعية بين هاذين البلدين، أما فيما يخص الفصل الثالث والأخير حمل عنوان العلاقات الثقافية التونسية والمغربية والذي قسم على مبحثين، أشرنا في المبحث الأول إلى الرحلات العلمية إلى البلدان المجاورة في حين اقتصر المبحث الثاني عن الطرق الصوفية في تونس والمغرب الأقصى، ظهورها وانتشارها وتأثير على هاته البلدين.

5- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

- دراسة التاريخ العثماني في تونس وحكم الاشراف السعدين والعلوين بصفة عامة.
- تلفت هذه الدراسة نظر الباحثين في مجال التاريخ إلى نوع العلاقات السائدة بين ايالة تونس والمغرب الأقصى خلال قرنين 16 و19.

- تساعد على فهم طبيعة العلاقات بين تونس والمغرب خلال الحكم العثماني من حيث التفاعل السياسي والدبلوماسي الاقتصادي والثقافي.
 - تعزيز المكتبة الجامعية بدراسة مخصصة حول موضوع نادر، مما يفتح افقا لبحوث أخرى في مجال تاريخ المغاربي.
- 6- اهداف الدراسة:**

- تسعى هذه الدراسة الى تحقيق مجموعة من الأهداف المتمثلة فيما يلي:
- رصد تطور العلاقات بين تونس والمغرب الأقصى خلال الفترة العثمانية بمختلف ابعادها السياسية والاقتصادية والثقافية.
 - ابراز أوجه التعاون بين البلدين خاصة التعاون الثقافي وتبادل رحلات العلماء.
 - تلخيص اهم الاحداث التي شهدتها العلاقات الثنائية بين تونس والمغرب الأقصى.

7- المنهج المتبع:

- اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي الوصفي، باعتباره منهجا صالحا لتتبع الوقائع الاحداث التاريخية المتعلقة بالعلاقات البلدين تونس والمغرب الأقصى وهذا من اجل الإجابة عن التساؤلات التي طرحت فصول الدراسة.

8- تقديم المصادر والمراجع:

اعتمدنا على مادة علمية تخدم موضوع الدراسة، في مقدمتها المصادر التي كان لها دور كبير في تحديد الوقائع القائمة في الفترة المدروسة، كون أن أصحابها كانوا قرييين من هذه الأحداث أو عاشوها. ومن جملة هذه المصادر نجد:

- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى لأبو العباس الناصري هذا الأخير الذي تناول فيه الحديث عن تاريخ المغرب الأقصى خاصة من عهد الوطاسيين إلى غاية دولة الأشراف العلوية، وهو متضمن تسعة أجزاء، تحدث بصفة شاملة عن الأحداث التي شهدتها هذا الأخير، وعن ذكر لأهم العلاقات التي كانت بين المغرب الأقصى وجارتها الجزائر وتونس، وإبراز أهم الصعوبات التي واجهت هذه البلدان سواء من الناحية الداخلية أو الخارجية المتمثلة في التدخلات الأجنبية في شؤون هذه البلدان.
- كتاب "المؤنس في أخبار إفريقية وتونس" هو كتاب تاريخي مهم ألفه أبو عبد الله محمد بن أبي دينار التونسي، هو كتاب التاريخ السياسي والإداري والاجتماعي لتونس في الفترة العثمانية، وخصوصاً في عهد الدايات والبايات. سرد أخبار الحكام المحليين والعثمانيين في تونس. أوضاع البلاد السياسية والاجتماعية والدينية في العهد العثماني.
- اعتماداً على مجموعة هامة من المراجع والمنقولة
- في تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله الذي يعد موسوعة ثقافية والذي رصد من خلاله الجوانب الاجتماعية التي كانت تميزها الجزائر في فترة 1500 إلى غاية 1830

9- الدراسات السابقة:

ان أهمية هذه العلاقات بين اية تونس والمغرب الأقصى شكلت تطورا هاما حيث اندرجت هذه العلاقات علاقات اقتصادية والاجتماعية والثقافية ولعل أبرز الدراسات التي تناولت موضوع بحثي، نذكر ما يلي:

. رزيقة محمدي، علاقات التونسية المغربية في عهد حمودة باشا (1782-1814م) نشر في مجلة الحكمة

للدراستات التاريخية، ال عدد8، سنة 2016.

10- صعوبات البحث

- صعوبة الوصول الى اهم مصادر الأرشيفية التونسية والمغربية.
- صعوبة حصول على المعلومات المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية وخاصة الاجتماعية.
- نقص المصادر والمراجع التي تتناول موضوع الدراسة.
- تشعب بعض جزئيات الموضوع في المصادر والمراجع مما جعل تتبع كل عنصر صعب جدا.
- صعوبة الوصول الى المخطوطات.
- ندرة الأطروحات الاكاديمية حول الموضوع الدراسة

في الأخير يمكن القول رغم هذه الصعوبات الى اني قمت انهاء عملي المتواضع الذي هو بين ايديكم ارجوا ان أكون قد وفقني ولو بجزء من خلال تناولي ابعاد الموضوع كون الخطوات والهفوات واردة فكلنا بشر الانسان قد يصيب ويخطئ.

الفصل الأول: الأوضاع العامة في ايلة تونس ومملكة المغرب الأقصى في القرن السادس عشر

المبحث الأول: الأوضاع العامة في ايلة تونس

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى

مقدمة الفصل:

الذي يدرس تاريخ اقطار المغرب العربي الحديث (تونس، المغرب الأقصى) يقف عند مجموعة من الاحداث التي عرفتها هذه الأقطار في الفترة من الزمن من جميع النواحي الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية حيث هناك علاقات ما بين هذين البلدين خاصة في الفترة العثمانية فمن ناحية السياسية عرفت ايلالة تونس تغيرات في نظام الحكم، الانطلاقة كانت بعهد الدايات ونهايتها بالأسرة الحسينية. وعرف المغرب الأقصى بروز أسرتين شريفتين أولهما الاسرة السعدية والاسرة العلوية. اما من الناحية الاقتصادية فقد كانت متماثلة بين هذين البلدين فكانت الزراعة المصدر الأساسي للعيش لسكان شمال افريقيا وكانت الحياة الاجتماعية والثقافية بهذه المدن مزدهرة نوعا ما وهذا ناتج عن التأثيرات الخارجية التي توافدت على هاته المدن، ومن هنا قبل التطرق الى واقع العلاقات القائمة بين ايلالة تونس والمغرب الأقصى، لابد من الإشارة الى الأوضاع العامة التي مر بها هذان البلدان في القرن السابع عشر وأهم مميزاتا والتحديات التي واجهتها.

المبحث الأول: الأوضاع العامة في ايةالة تونس

1.1. الوضع السياسي:

بعد الدخول العثماني لتونس سنة 1574م كان الديوان هو الذي يرسم القوانين الخاص بها، وكان المتصرف في الاحكام، هو الباشا أبو جماعة البولكباشية المتحكمة في الديوان والعسكر، ونظرا لما قام به هؤلاء من جور وظلم للعساكر، وكان هذا سنة تسع وتسعين وتسعمائة الموافق لتسعين وخمسمائة والف 999 هـ. 1590م⁽¹⁾ في خضم هاته الأحداث اجتمع الجند واتفقوا على تعيين إبراهيم كأول داي لتونس⁽²⁾ وبالتالي أحدثوا نظام الدايات، والذي استمر قائما في تونس الى غاية عام 1640⁽³⁾ م لكن حكمهم لم يدم طويلاً حتى شككت سلطة أخرى في حكمهم. وكانت هذه نهاية عهد يوسف داي الذي حكم من 1610 إلى 1637م. وتزامن عهده مع وباء المرض، وكانت له خلافات مع حكام الجزائر، والتي هزمها في نهاية المطاف في عام 1637⁽⁴⁾. بالإضافة إلى الاضطرابات المستمرة في فإنه يستعين بمساعدة الموظف القدير، مراد بك، للسيطرة على الوضع. وقد تخلى الأخير عن منصبه لابنه حمودة باشا، الذي بدأ عام 1645م⁽⁵⁾ يتنافس من خلال جمع الضرائب من الرعايا والمناطق الغنية الواقعة تحت ولايته، ولم يكتف بإنشاء جمعيات خيرية، بل ضاعف نفوذه وقدراته العسكرية والمالية. اقتصر تأثير داي على العاصمة وفقد مكانته، ونال ابنه حمودة باشا المنصب الا انه تنازل عنه لابنه مراد ثاني⁽⁶⁾ وهذا الأخير تولى الحكم سنة 1659.1675 أضحي الحكم وراثيا في ظل اسرة اسطا مراد استغل الباي مراد غضب الشعب على الداى فألقاه خارجا، عين مكانه دياا جديد يخضع لأوامره في سنة 1671.

ثم دخل في نزاع مع الإنكشارية التي رفضت الاعتراف بالداي الجديد 1673م وتمكن هذا الأخير من الانتصار عليهم، بعد اتفاهه مع أخيه والي القيروان.⁽⁷⁾

¹. ابن ابي، كتاب المؤنس في اخبار افريقيا وتونس (ط1 في مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية سنة 1286 هـ. 1874 م) ص 189

². نفسه، ص 189-190

³. عبد المنعم إبراهيم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي موسوعة الثقافة التاريخية والحضارية التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع 2007، ص 58-59.

⁴ عبد الوهاب حسن الحسني، خلاصة في تاريخ تونس والمختصر المدرسي يشمل ذكر الحوادث القطر التونسي من أقدم العصور الى الزمان الحاضر، (ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس 1373 هـ -1964 م) ص136

⁵. محمد الهادي الشريف، مايجيب ان نعرفه عن تاريخ تونس، تر: محمد الشاوش، محمد عجينة (ط3، تونس: دار سرار للنشر) ص 77-78.

⁶. أسطا مراد: هو مراد بن عبد الله من الاعلاج، بويغ على حكم بعد وفاة الداى يوسف 1047هـ/1638م. انظر: ابن ابي دينار، كتاب مؤنس مرجع سابق، ص 197.

⁷ مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني 1516_1916 (ط1، عمان: دار أسامة للنشر 2003)

بعد وفاة مراد الثاني عام 1675، سقطت تونس في حالة من الفوضى و الاضطرابات، واندلعت صراعات على السلطة بين الباي محمد⁽¹⁾ وعلي⁽²⁾ وعمهم محمد الحفصي⁽³⁾ نشأت أزمة أدت إلى انقسامها إلى مرحلتين: (4)المرحلة الأولى من 1675 م إلى 1686م، واستمر الصراع عشرين عاماً، وانتهت بانتصار محمد باي، حيث نجح في التخلص من عمه الحفصي، وقتل أخيه علي⁽⁵⁾ "أما المرحلة الثانية الثانية دامت من سنة 1686 م إلى نهاية 1696 م استمر محمد باي خلال هاته المرحلة من أحمد انتفاضته التي قام بيها صهره ابن الشكر⁽⁶⁾ الأخير وفي وصلت شخصيتين شعبيتين الى حكم وهو رمضان باي الذي حكم 1696 م الى غاية 1698 م وقتل من طرف مراد الثالث 1698 . 1702 م لكن بتبعية ابراهيم الشريف⁽⁷⁾ حاكم على مدينة قسنطينة بعد الاستيلاء عليها ،

اعتماده على الكاهية حسين بن علي⁽⁸⁾ وكانت سياسات بن علي الداخلية والخارجية سببا في سقوطه⁽⁹⁾. في عام 1705 انتهت سلالة المرادي من الحكم وتم تعيين حسين بن علي من قبيلة الأوجاق حاكماً جديداً لتونس. وهكذا فتح التاريخ التونسي فصلاً جديداً في القرن الثامن عشر، وهو عهد أسرة الحسين من عام 1705 إلى عام 1956م⁽¹⁰⁾

¹ باي محمد: تولى الحكم سنة 1687 م بعد مقتل أخيه علي، وتوفي سنة 1699 م. انظر: عبد الوهاب حسن الحسني، خلاصة في تاريخ تونس والمختصر المدرسي...، مرجع سابق. ص 143-144

² -على باي: هو أخ محمد باي، اغتيل من طرف احد الأبناء في سنة 1687م. انظر نفسه، ص 142، 143

³ . محمد الحفصي: هو محمد عم محمد باي، تقلد مناصب منصب الباشا. انظر: أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في امراء افريقية، تق و تـج: محمد عزب (ط1، القاهرة : دار الافاق العربية 2013 م) ص 229

⁴ . الجمل سيار، تكوين العرب الحديث (ط1، الأردن : دار الشروق للنشر 1997م) ص 212،

⁵ -عبد الوهاب حسن حسيني ، مرجع سابق ، ص 144⁵

⁶ . ابن شكر : هو خليفة محمد باي وصهره ، توفي في مدينة قابس 1697م . انظر: المسعود أبو عبد الله الباجي، خلاصة النقية مصدر سابق ص 234 .

⁷ . إبراهيم الشريف: حكم هذا الأخير سنة 1702 م الى غاية سنة 1705 م عين نفسه بايا، وحصل على لقب الباشا واسر من طرف ايةالة الجزائر . انظر: روبر مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترشير سباعي ، ط 1 ، القاهرة مكتبة الإسكندرية للنشر توزيع 1993 .

⁸ . حسين بن علي: هو ابن انكشاري تركي وأم تونسية حكم من سنة 1704 الى غاية 1740 م . انظر : روبر ما نتران ، مرجع سابق ص 629.

⁹ . مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ ... مرجع سابق ص 59

¹⁰ . الجمل السيار، تكوين العرب مرجع سابق ص 212.

2.2. الوضع الاقتصادي:

وتتمثل الحياة الاقتصادية في العمل الذي يقوم به سكان ولاية تونس في مجالات الفلاحة والصناعة والتجارة⁽¹⁾. ولذلك يمكن القول أن تونس تعتمد بشكل أساسي على الزراعة، وخاصة إنتاج الحبوب، التي تعد أحد مصادر دخلها تعتبر المحافظة المصدر الرئيسي للدخل بالنسبة لأغلب السكان، لذا يتدخل البايليك لتوفير هذا الغذاء ومراقبة الأسعار⁽²⁾، وفي عهد داي أسطى مراد، تم اتخاذ عدة إجراءات اقتصادية، من بينها حظر تصدير الحبوب، مما أدى إلى فائض من الحبوب وانخفاض الأسعار⁽³⁾. وبالإضافة إلى ذلك، تنتج تونس مجموعة متنوعة من الخضراوات والفواكه لاستهلاك سكان الولاية⁴.

أما من ناحية الصناعة الحرفية فقد لعب الأندلسيين دوراً في تهذيبها، فاشتهرت تونس بصناعة الشواشي وكان هاته الاثناء لكل حرفة أمين وعرفت تونس صناعة العطور⁽⁵⁾.

وكانت تجارة المنسوجات في سوسة⁽⁶⁾ وتونس متطورة للغاية، وخاصة التجارة المرتبطة بالقرصنة والأرباح التي كان القراصنة يجلبونها للدولة من خلال نهب المأكولات البحرية⁽⁷⁾. وكان عثمان داي⁽⁸⁾ مهتماً أيضاً بتجارة الرقيق، فبنى سوق البركة، واستفادت الدولة التونسية كثيراً من تجارة الرقيق وحقق منها أرباحاً هائلة⁽⁹⁾. وتتمتع تونس أيضاً

1. عبد المنعم إبراهيم الجميبي، الدولة العثمانية.. مرجع سابق، ص 59.

2. الهادي التيمومي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي (ط 1، تونس: بيت الحكمة قرطاج 1999 م ص 184_187).

3. نفسه ص 216.

4. عبد المنعم إبراهيم الجميبي، مرجع سابق، ص 59.

5. محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، الجيلالي بن حاج يحيى (ط 1، لبنان: دار الغرب الإسلامي 1986 م) ص 241.

6. سوسة: بضم أوله، فهي مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط. أنظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر) مج 3 ص 282.

7. محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ...، مصدر سابق ص 226.

8. عثمان داي، حكم من 1598 الى غاية 1610 م، كثرت في عهده غنائم البحر، وهو أول داي لايالة تونس، مارس السلطة الفعلية. انظر: روبر مانتران، تاريخ الدولة...، مرجع سابق ص 627.

9. ابن أبي دينار، كتاب المؤنس... مرجع سابق ص 194.

بعلاقات تجارية مع أفريقيا الوسطى، لذا تستخدم أفريقيا الوسطى إمداداتها لتصدير السلع والمنتجات من المنطقة إلى أوروبا⁽¹⁾

وفي هذا الصدد يمكن اعتبار أن النشاط الرئيسي الايلالة التونسية هو الزراعة، حيث تنتج المحاصيل، وخاصة الحبوب والخضر والفواكه وغيرها، على الرغم من أن الطرق المستخدمة بدائية، إلا أن الأنشطة الأخرى لم تحظ بنفس الاهتمام، باستثناء القرصنة التي ازدهرت في القرن السابع عشر وجلبت الأرباح للخزينة التونسية.

2. 3. الوضع الاجتماعي والثقافي:

2. 3. 1. الوضع الاجتماعي:

في القرن السابع عشر بلغ عدد سكان ايلالة تونس ما يقارب ثمانون الف نسمة⁽²⁾ وبعد فترة بدأ وفود من الاندلس يهاجرون الى تونس وكان هذا سنة 1607 م، وبعدها في سنة 1610 م قدمت مجموعة كبيرة من الأندلسيين الى تونس تم استقبالهم من طرف داي عثمان.⁽³⁾

عرفت ايلالة تونس في القرن السابع عشر فيها خليط من الأهالي ينتمون الى فئات اجتماعية مختلفة، من أبرزهم الاتراك وكان عددهم يصل الى أربعة الاف من العساكر الإنكشارية، واندمجوا مع سكانها المحليين⁽⁴⁾. وظهرت فئة جديدة من الأهالي هي المماليك والاعلاج اين تقلدوا اعلى المناصب ونجد في مقدمتهم اسطا مراد⁽⁵⁾ بالإضافة الى فئة العبيد فهم كانوا نوعان السود مصدرهم من افريقيا وجنوب الصحراء والبيض مصدرهم عمليات الأسر ونجد أيضا اليهود⁽⁶⁾. وفي سنة 1621م وقع وباء في المنطق راح ضحيته العديد من التونسيين⁽⁷⁾ ولاسيما في مناطق الصحراوية التي عاشت في سنوات القحط⁽⁸⁾.

1 . يسرى الجوهري، شمال افريقية (ط6)، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية 1980 م (ص 142).

2 الهادي التيمومي، المغبيون في تاريخ تونس الاجتماعي، مرجع سابق ص 208

3 محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين 16 و17، دكتوراه دولة في تاريخ (ط2)، الرباط : افريقيا الشرق 1998م (ص 134).

4 . محمد بن خوجة، صفحات من ...مصدر سابق ص 226

5 . نفسه، ص 226.

6 كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الديات 1711-1830 م (مذكرة مقدمة نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) جامعة الوادي 2013-2014 م ص 25

7 . ابن ابي دينار، المؤنس .. مرجع سابق ص 196

8 . الهادي التيمومي المغبيون في تاريخ ... مرجع سابق ص 184.

2 - 3 - 2 - الوضع الثقافي:

شهدت اية تونس خلال القرن السابع عشر ازدهارا عمرانيا ملحوظ ساهم فيه بشكل كبير الاندلسيون وفي مقدمتها تستور أو سليمان ذات الطابع الأندلسي⁽¹⁾ هذا بالإضافة الى دايات تونس كانت لهم في الفضل في اتساع حركة العمران مدينة تونس ، وكان بين هؤلاء عثمان داي الذي شيد قصرا باسمه ، ناهيك عن داي يوسف الذي انشا سوق الترك وبنى جامع حمل اسمه⁽²⁾، قد تزايد هذا نشاط العمراني في عهد حمودة باشا اتسعت رقعة العمران تونس⁽³⁾ و هنا نلاحظ اهتمام دايات تونس بالعمران ، الى جانب ظهور طبقة من العلماء والمثقفين خصوصا في مدينة القيروان و صفاقس⁽⁴⁾ وكان دور البايات تونس في حفظ مال الوقف الذي كان يرجع الى انشاء المراكز العلمية⁽⁵⁾.

وعليه يمكن القول ان المشهد الثقافي في تونس كان يتمحور حول التعليم الديني والتقليدي المعتمد بشكل أساسي على الحفظ والنقل⁽⁶⁾ ، مع تركيز واضح على العلوم الشرعية. يمكن ان نستنتج ان بلاد تونسية عرفت في النصف الأول القرن السابع عشر ازدهار في المجال الثقافي غير انه بقي محصورا في الأرياف والحوضر⁷.

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى

3 - 1 - الوضع السياسي:

- ¹. محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف من تاريخ تونس، تر محمد شاوش محمد عجية، ط3 ، تونس ، دار سراس للنشر والتوزيع ، ص75 .
- ². ابن ابي دينار، كتاب المؤنس ... مرجع سابق ص 194.
- ³. احمد ابن أبي ضياف، اتخاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تج: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية (ط 1 تونس : الدار العربية للكتاب 2000 م) مجلد 3، ج 3 ص 77- 86 .
- ⁴. صفاقس: مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر الأبيض المتوسط. حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط 2 لبنان ، دار الغرب الإسلامي 1993، ج 1 ، ج 2 .
- ⁵. محمد بن خوجة، صفحات من .. مرجع سابق ص 194.
- ⁶. محمد الهادي الشريف ، مايجب ان تعرف ... ، مرجع سابق ص 76 .
- ⁷. محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف ...، مرجع السابق ص 77.

عرف المغرب الأقصى حكم الأشراف السعديين¹ خلال القرن السابع عشر وبعد وفاة المنصور² دخلت هذه الأخيرة انحيار وضعف الذي اعتبرت فترة حكمه العصر الذهبي الذي عاشه المغرب الأقصى، وفي هذا العدد يتحدث أبو قاسم الزياني في كتابه البستان الطريف، أن أبناء المنصور كان همهم الوحيد الوصول إلى السلطة ولهذا أهملوا الرعاية³ وهنا تجدر الإشارة إلى أن أحمد المنصور كان قد عين أبنائه الثلاثة على العرش، فاستقر زيدان⁴ في حكم فاس سنة 1603 م إلى غاية 1628 م.

أما أخيه أبا فارس تولى أمر مراكش من 1603 م إلى عام 1608 م غير أن الشيخ المأمون كان في مكانس منذ عام 1603 م إلى عام 1608 م⁵

تميزت هذه الفترات بكثرة الثورات ضد زيدان، وهكذا قادها أخوه أبا فارس مستعينا بمحمد الشيخ المأمون، فالتقوا في وادي ام الربيع⁶ ثم انكسرت قوات زيدان فارس وتم تقسيم المغرب الأقصى إلى مملكتين سعيديتين، الأولى في فاس والثانية في مراكش فاضطر المولى زيدان إلى مغادرة فارس اتجه نحو تلمسان⁷ ستغل أحد الأمر ووفا استيلاء على فاس بعد انقلابه على أخيه أبا فارس ثم استغل ابنه عبد الله بإدماج مراكش معه وثم طرد زيدان من فاس للمرة الثانية وفي نفس الفترة في سنة 1607 م استطاع ابن عمهم محمد ابن عبد المؤمن من السيطرة على مراكش بعد طرده لعبد الله ابن المأمون ولكن زيدان استغل كل خبرته واستطاع استرجاعها وفي الأخير توفي في عام 1639 م⁸ واخذ موجب

¹ . الاشراف السعديين: اصلهم من ينبع النخل من ارض الحجاز وأهم اشراف من ولد محمد، النفس الزكية، كان اول ظهور لهم من سوس من خلال مولاي محمد الشيخ واحمد الاعراج . انظر: محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مراجعة هوداس (طبع مدينة انجي سنة 1888 م) ص 3 .

² . أحمد المنصور: الملقب بالقائم أمر الله، ولد عام 1549 م وحكم سنة 1578 م وتوفي سنة 1603 م انظر: عبد العزيز الفشتالي مناهل الصفا في مآثر مولانا الشرفاء (الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف شؤون الإسلامية والثقافية 1972 م) ص 25 .

³ . أبو قاسم الزياني، البستان الطريف في دولة أولاد مولاي الشريف، القسم الأول، (من النشأة إلى نهاية محمد بن عبد الله) تر: رشيد الزاوية (ط 1 الرباط: مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني إقليم الراشدية، 1991 م) ص 37.

⁴ . زيدان بن المنصور: ولي بالخلافة أبيه سنة 1603 م، وقعت عدة ثورات في عهده خاصة من طرف أخوته أبا الفارس، أنظر: مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية تلك مدارية، تق وتحت عبد الرحيم بحادة (ط 1 مراكش، دار تينمل للطباعة والنشر 1994 م) ص 83-103 .

⁵ . فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربية، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر) (ط 1، لبنان: 2007 م) ص 610.

⁶ - وادي ام الربيع: نهر كبير ينبع من أطلس بين الجبال عالية في حدود تادلا وناحية فاس. انظر: ابن الوزان الزياني، وصف إفريقيا تر: عبد الرحمان حميدة . مر: علي عبد الواحد سلسلة التراث (الرياض 1399 هـ-1990 م) ص 622 .

⁷ - مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية...، مرجع سابق ص 83 .

⁸ - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين (ط 1، المغرب: دار الرشاد الحديثة للنشر 2000 م) ج 2، ص 278.

ذلك بيعة لابنه عبد المالك الا انه لقي معارضة من اخوته منهم احمد بن زيدان والوليد بن زيدان وقع صراع بين عبد الملك واخوه احمد انتهى الامر بمقتل هذا الأخير من ثم تمكن من قتل أخيه عبد الملك في سنة 1631م تدهورت الأوضاع في عهد الوليد ابن زيدان فقتله العلوج بعد رفضه دفع رواتبهم ،

تولى حكم خلفه محمد الشيخ الأصغر¹ في سنة 1636 الى غاية 1654م، انتشرت في عهده مشاكل في المغرب الأقصى ، الذي انقسم الى ولايات ، كل منها تمارس سياستها على حدودها ، فاستولى الدلائيون² على فاس ، وشملت سلطة العياشي³ في سلا ومنطقة الغرب ، وبدا العلويين بتعميم دعوتهم⁴ ، وخلفه أبو العباس احمد ابن محمد الشيخ الأصغر 1654م الى سنة 1659م سقطت في فترته الدولة السعدية وأطاح بيه اخواله من الشبانات⁵ واغتالوه سنة 1659م ، فاستولى عبد الكريم الشباني على الحكم ثم خلفه ابنه أبو بكر الذي انتهى امره على يد السلطة العلوية⁶ ، كانت بداية ظهور دولة الاشراف العلويين في سجلماسة بالجنوب بعد ضعف الاسرة السعدية على يد علي الشريف ، الذي كان في عداوة مع أهل تبوعصامت⁷ التي تعاونت مع ابي حسون السملالي⁸ واقدما على عزل علي الشريف غير ان ابنه محمد بن علي الشريف حاربهم وطردهم من السوس ، من بعدها بايعه أهلها ووالده علي لم يمت

1. محمد الشيخ الأصغر: هو والدعبدالله محمد الشيخ بن زيدان، تما مبايعته بعد وفاة أخيه الوليد بن زيدان ببيع مراكش يوم الجمعة 15 رمضان 1045 هـ وقتل سنة 1063 هـ / انظر: أبو العباس احمد خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الدولة السعدية، تح، تع جعفر الناصري ومحمد الناصري (ط1، الرباط: دار الكتاب 1997م) القسم الثاني ج6 ص 107.

2. الدلائيون : تطلق كلمة الدلاء على الأرض التي أسس فيها المجاطيون زاويتهم بالجنوب الغربي الأطلسي للمتوسط المشرق على سهول تادلا .

انظر: محمد حجي ، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي (المغرب : المطبعة الوطنية بالرباط 1964م) ص 26-27 .

3. العياشي: هو رحالة المغرب عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن يوسف بن موسى العياشي ولد شهر شعبان من سنة 1037-4 ماي 1628 م توفي بالطاعون يوم الجمعة 18 ذي القعدة عام 1090 هـ . 1679م أنظر :عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية 1661 . 1663 م تع

وتق سعيد الفاضلي ، سليمان القريشي (ط1، الامارات العربية المتحدة : دار السويد لل نشر والتوزيع موسوعة رحلات الحج 2006) المجلد الأول ص 29.

4. إبراهيم حركات، ج2 ، مرجع السابق ، ص 283.

5. الشبانات : هي من القبائل المنتسبة الى عرب معقل الصحراء ، قدموا الى المغرب واستقر بجنوبه بمنطقة السوس ولعل النسب الشريف الذي كانت تدعيه هذه القبائل من جهة وعلاقة القرابة بينها وبين مولاي زيدان جعلها قوة لا يستهان بها الجيش السعدي . انظر: دلندة الارقش واخرون المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، (مركز النشر الجامعي : مديا كوم 2003م) ص 145.

6. إبراهيم حركات، مرجع السابق، ص 283.

7. تبوعصامت :هو إقليم من مدينة سجلماسة ، هو على بعد حوالي 8 اميال جنوبي القصر الكبير توجد بيه عدد كبير من تجار الأجانب ، انظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي ، ج2 مصدر سابق ص 125

8. ابي الحسون السملالي : هو من احفاد بن موسى السملالي ، استولى على فاس عام 1613م وامتد نفوذه الى درعة وسجللماسة هذا في سنة 1630م، وتوفي هذا الأخير في سنة 1659م ، انظر : عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية .. مصدر سابق ص 138.

بعد سنة 1630م، وقس سنة 1659م توفي علي الشريف فتجددت البيعة لولده محمد وفر أخيه محمد الرشيد¹ الذي اتجه الى تدغة² ثم دمنات³ من ثم الى زاوسة الدلائيين استولى هذا الأخير على أموال يهودي وقتله، والتقى مع اخوه محمد في انكاد⁴ فدارات بينهما معركة انتهت مقتل محمد⁵ وتمت مبايعته، ودخل في طاعته الاحلاف وبني يزناسن⁶ وغيرهم، توفي عقب وفاة المولى الرشيد، تولى المولى إسماعيل⁷ الحكم بعد ان بايعه اهل الحل والعقد باستثناء منطقة مراكش وكان بالغ من العمر ستة وعشرين سنة⁸، وقد شهدت فترة توليه الأولى سلسلة من الثورات، ابرزها استنجد اهل فاس بابن محرز بعد قتلهم زيدان بن عبيد العماري، وفي الشمال جابهه الخضر غيلان⁹ والاسرة النقيسيس¹⁰ استطاع المولى إسماعيل القضاء عليهم واتخذ من مكناس مقرا لسلطته، حيث ركز جهوده على تحصينها¹¹ وبناء القصور فيها.

1. الرشيد: هو المؤسس الحقيقي الدولة العلوية بالمغرب الأقصى 1666م - 1672م بذل كثير من المجهودات في سبيل الوحدة السياسية للبلاد. انظر: ابوقاسم الزياني، كتاب دعوة الحق 9 تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب. تق. تح: رشيد الزاوية (المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية 2008م) ص 109.
2. هي عبارة عن مجموعة من القرى على وادي داداي بالسفح الجنوبي لأطلس الكبير. انظر: أبو قاسم الزياني، البستان الطريف ... مصدر سابق، ص 109.
3. دمنات: مدينة جبلية بالأطلس الكبير على بعد حوالي 120 كلم شرقي مدينة مراكش. انظر نفسه ص 109.
4. - انكاد: هي أرض فسيحة خالية لا حجر فيها، خاصة في الطريق المؤدية من تلمسان إلى فاس. انظر: مارمول كرفخال، أفريقيا، تر: محمد حجي و آخرون (ط1، الجمعية المغربية للنشر و التوزيع 1988م) ج2، ص 292.
5. - محمد: هو أول من بويع من رجال الدولة العلوية، وذلك من سنة 1050/ 1075 هـ - 1640-1664م. انظر: عبد الرحمان بن زيدان العلوي العلاقات السياسية للدولة العلوية، تق و تح: عبد اللطيف الشاذلي (الرباط: المطبعة الملكية 1999م) ص 37-41.
6. - بني يزناسن: هو إقليم في شمال شرق المغرب. استمد اسمه من اسم القبيلة التي تقطنه، ولا زالت إلى اليوم طوائف من هذه القبيلة تستوطن الجبل المعروف باسمها قرب مدينة وجدة. انظر: أبو القاسم الزياني، الروض الأنسف... للبستان الشريف...، مصدر سابق، ص 74.
7. ولد بسوس 1065 هـ بويع بعد وفاة أخيه مولى الرشيد سنة 1082 موافق ل 1664 م توفي في مكناسة يوم السبت 28 رجب 1139 هـ موافق 21 مارس 1772م. نظر عبد الرحمان بن زيدان، الدور الفاخر بمأثر الملوك العلويين بفاس والزهاء (المطبعة الاقتصادية برباط 1356 هـ. 1937م) ص 29-30.
8. أبو عباس احمد بن خالد الناصري، ج7، مصدر سابق، ص 45.
9. الخضر غيلان: ينتمي الى قبيلة جرفط العربية تقطن بين العرائش وتطوان، هو من كبار مساعدي المجاهد العياشي ببلاد الهبط، قتله المولى إسماعيل 1674م. انظر: أبو قاسم الزياني، البستان الطريف، مصدر سابق، ص 97.
10. الاسرة النقيسيس: ظهرت عائلة النقيس بصفتهم حكام لتطوان حوالي عام 1600م، كان احمد بن عيسى هو مؤسس اسرة النقيسيس، انظر محمد بن عبد السلام الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة) تج وتق احمد العماري (ط 1 الرباط، دار المأثورات 1986م) ص 68.
11. أبو قاسم الزياني، البستان الطريف، مصدر سابق، ص 148.

دخل في صراع مع احمد ابن محرز مما أدى الى صراع قوي في وادي العبيد ببوعقبة، انتهى بهزيمة احمد بن محرز ودخول مولى إسماعيل الى مراكش، وفي تلك الاثناء أسس جيش الوادية¹، وقضى على ثورة الدلائيين ونجح في تحرير عدة مدن منها العرائش 1683م – اسبلا 1691م، وطنجة 1683 م، حدث توتر في علاقاته مع الدول الاوربية في نهاية القرن السابع عشر².

3-2- الوضع الاقتصادي:

شهد المغرب الأقصى في عهد احمد المنصور تطورا ملحوظا في مختلف القطاعات، الزراعة والصناعة والتجارة وقد عرفت أواخر هذا العهد مجموعة من ثورات أثرت بشكل واضح على هذه النشاطات الاقتصادية، فعلى مستوى الزراعي، استمر الإنتاج الفلاحي متأثرا بما كان عليه في فترات السابقة حيث تميزت منطقة زرهون³ بخصوبة أراضيها، وتعد منطقة تارودنيت أكثر مدن انتاجا مختلف أنواع الكروم وأشجار الزيتون والخضر الفواكه⁴.

من جهة عرفت مناطق فاس ومراكش اهتماما بتربية الخيول والإبل⁵ كما ساهم الاندلسيون بتطوير تقنيات الري في المغرب الأقصى، من خلال تركيب عدة نواعير في منطقة فاس⁶، اما في مجال الصناعي فقد ازدهرت مجموعة من الصناعات التقليدية مثل الصناعات الحرفية والصوف والجلود المدبوغة⁷ بالإضافة الى صناعة الزرابي⁸

فيما يخص التجارة سيطر عليها اليهود احتكروا تجارة السكر والملح والبارود ناجتهم البريطانيين لاتصالهم مع المغرب الأقصى⁹ وتعد مدينة سلا¹⁰ من أبرز المدن التي اليهود والأجانب¹¹.

1. جيش الوادية : المتكون أساسا من القبائل المعقلية كأولاد مطاع والشبانان والمغافرة والوداية ، فهو يعتبر من اهم تشكيلات العسكرية القبلية في المغرب الأقصى في عهد الدولتين السعدية والعلوية.انظر : أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، استقصا ... مصدر سابق ، ج 7 ص 150 -155.
2. محمد خير فارس ، محمود علي عامر ،المغرب الأقصى منذ بداية القرن السادس عشر حتى 1830م سوريا ، ج 1 ص 94.
3. جبل كبير يبدأ في سهل سايس على بعد ثلاثة فراسخ ونصف من مدينة فاس. انظر: مرمول كرنجال فريقيما، مصدر سابق ص 181.
4. ابراهيم حركات، مرجع سابق، ص378.
5. عبدالفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ الغرب بني وطاس السعدين وظهور الاشراف العلوين، دراسة في تاريخ الإسلام، (ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي للنشر 1994م) ج6 ص 261.
6. محمد رزوق، الاندلسيون وهجراتهم ...، مرجع سابق ص 266.
7. عبد العزيز الفشتالي ، مناهل الصافا ،مصدر سابق، ص 144
8. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص 262.
9. إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 389.
10. سلا: بلفظ فعل ماضي من سلا يسلو مدينة المغرب الأقصى، انظر : شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، مصدر سابق، مج " ، ص 231.
11. محمد حجي، رحلة الأسير مويط، دار مناهل للطباعة والنشر، المملكة المغربية 1990، ص 17.

عرف اقتصاد المغرب الأقصى ازدهار كامل في بداية حكم الاشراف العلويين، حيث كانت الأراضي قليلة لكن من شدة خصوبتها كانت تنج كميات كبيرة خصوصا انتاج القمح الذي أصبح متواجد بكثرة¹ يقول الناصري في كتابه الاستقصا حيث "كان القمح في عهد مولى رشيد يباع اول نهار بخمسة أواق² وفي اخره بنصف اوقية"³ من خلال هذا يتأكد لدينا ان معظم مدن المغرب الأقصى اختصت على انتاج نوع ما من المحاصيل الزراعية، حيث ان الرباط اختصت انتاج فواكه بوجود على عدة بساتين، وكذلك زراعة الحبوب التي تغذي اكثر من الف وخمسمائة شخص⁴ اما تافيلالت تحتوي على كمية كبيرة من أشجار النخيل⁵ اما فيما يخص ناحية الاقتصادية فقد عمل مولى الرشيد على ضرب السكة الراشدية 1669م ساهم في رفع اقتصاد المغرب الأقصى.⁶

قام المولى إسماعيل بإطلاق ايادي صناع في مجال البناء من خلال استمرارية نشاطهم وجاء العديد منهم من مختلف حواضر المغرب الأقصى، كما حظيت التجارة باهتمام كبير من قبل حكام خاصة المولى إسماعيل الذي عمل على تحرير السواحل المغربية من الاحتلال الاسباني والبرتغالي بهدف تنشيط الحركة التجارية⁷، الى جانب ذلك ارتبط النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال هذه الفترة بإعمال القرصنة⁸ التي شكلت مصدر دخل مهم لسكان بعض مدن ساحلية مثل مدينة تطوان التي لم تقتصر نشاطها على القرصنة فحسب بل كانت على اتصال بتجار ينشط مع التجار الأوربيين فصدرت العديد من السلع المختلفة المتنوعة والسوس ظلت ممرًا للقوافل الذهب المصنفي الاتي من غنيا⁹.

¹ . إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 381.

² . أواق: نعي به عشر المثلقال وهو وحدة نقدية ينقسم الى اربع موزونات وجزء من 16 جزاء من الرطل . انظر : عبد الرحمان بن زيدان ، العزة و الصوولة في معالم نظم الدولة (ط 1 ، من المملكة المغربية : 1961م) ج 1 ص 399 .

³ . أبو العباس احمد بن خاد الناصري، استقصا... ج 7، مصدر سابق ص 44 .

⁴ . محمد حجي، رحلة الأسير مؤيط، مصدر سابق ص 17.

⁵ . نفسه ص 100.

⁶ . عبد الكريم الكبير العلوس المدغري، أبو علي اليوسي، نموذج عن الفكر المغربي في الفجر الدولة العلوية (ط 1، المملكة المغربية) ص 38

⁷ . عبد الكريم الكبي، ر العلوي المدغري، مرجع سابق، ص 40.

⁸ . محمد حجي رحلة الأسير، مصدر سابق، ص 77

⁹ . أبو علي اليوسي، مصدر سابق ص 51، 52.

3-3- الوضوع الاجتماعي والثقافي

3-3-1 الوضوع الاجتماعي:

ينتمي سكان المغرب الأقصى من سلالة البربر¹ مع تعاقب الزمن وخاصة عقب وفاة احمد المنصور 1603م شهدت البلاد استيطان كبير من الاندلسيين هذا في سنة 1609م²، كما سجلت مدينة تطوان³ في سنة 1613م وجود عشرة الالف مورييسكي، فيما قدر العدد الإجمالي في البلاد حوالي أربعين ألف مورييسكي⁴ فضلا عن وجود عدد من الاسرى الأوربيين.

شهد المغرب الأقصى خلال هذه الفترة هجمات متكررة من القراصنة الذين يسعون للحصول على الغنائم مقابل الافراج عن اسرى بلدانهم الأم⁵. تعرض المغرب الأقصى سنة 1596م سلسلة المجاعات الأوبئة نجم عنها تقلص المساحات الفلاحية المخصصة لقصب السكر هذا انعكس سلبا تقلص صادرات المغرب الأقصى لاسيما خلال فترات التي استغرقت فيها المجاعات من سنة 1596-1605م، حيث أدى هذا الوباء بحياة السلطان احمد المنصور 1603م⁶ وكذلك في سنة 1678م وقع مرض الطاعون في المغرب الأقصى، الذي الى وفاة نحو نصف سكان المغرب الأقصى ويذكر أن المرض كان ينتقل من شخص لأخر ثلاث سنوات من هاته السنة⁷.

¹ . البربر : اول امة عرفت بهذا الاسم هم سكان الغرب منذ تدوين تاريخ، فهم سكان شمال افريقيا من صحراء ليبيا الى محيط الأطلسي ومن البحر الأبيض المتوسط الى حوض السينغال والنيجر انحدروا من اصلااب المغاربة القدماء مختلطين مع مرور الزمان . انظر : عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب جائزة 1968، الرباط، المطبعة الملكية 1968م .

² . إبراهيم حركات ، المغرب .. مرجع سلبق ، ص 367.

³ . تطوان : هي مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه الزرع ، انظر : المراكشي كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، وصف مكة والمدينة ، ومصر وبلاد المغرب، تع : عبد احمد سعد زغلول (ط مغربية ، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة 1985م) ص 137

⁴ . محمد رزوق ، الاندلسيون وهجراتهم ... مرجع سابق ، ص 130.

⁵ - محمد حجي رحلة الأسير مؤييط مصدر سابق ، ص 141 ، .

⁶ . محمد قبلي ، تاريخ المغرب تحيين وتركيب (ط 1 ، الرباط : منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب 2011م) ص 391.

⁷ . محمد حجي ، رحلة الأسير مؤييط...، مصدر سابق ص 39

ونتيجة لهذا الوضع الصحي المتردي انتشر القحط وارتفعت أسعار الماشية¹ كما سجلت حالات وفيات واسعة منها وفاة العياشي سنة 1681م متأثرا بمرض الطاعون² ويمكن القول ان المغرب الأقصى قد تعرضت لعدة امراض ساهمت بشكل كبير في تردى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

3-2-3- الوضع الثقافي:

للحديث عن أي تاريخ امة لا بد من معرفة مؤسستها الثقافية التي تشكل مصدر وجودها وحضارتها بين أمم ولعل أهم المؤسسات الثقافية التي عرفها المغرب الأقصى في القرن السابع عشر لدينا:

أولا المدارس كانت متواجدة بكثرة ولم تأثر الطابع المحلي فضلا عن ذلك نجد ان مساجد كانت موجودة بكثرة في مختلف المناطق خاصة ترودانت³ وكان هدف منها تعليم وتحفيظ القرآن الكريم⁴ والتي ساهم الدلائيين في بنائها ما أدى الى انتشار التعليم في عدة مدن كبرى وصغرى، اهم المراكز الثقافية التي كانت في تلك الفترة هي : القصر الكبير الزاوية الدلائية⁵ سجلماسة و مراکش⁶ التي كان فيها ستة منشآت كبرى ،تحتوي على مسجدين ومدرسة وضريح سيدي محمد بن سليمان الجزولي وقبة الاشراف ، كما تنوعت بيها الزخرفة وفي عهد مولى الرشيد تم بناء الاقواس وخاصة قنطرة أولاد سبا⁷ كما اهتم بالتعليم والقضاء على الفساد⁸.

¹ . إبراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص 499.

² . مولاى بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (الجزائر : المكتبة الوطنية الحامة ، اشراف: المركز الوطني للدراسات التاريخية 1979م) ص 17.

³ . ترودانت يسميها المغاربة تورانت ، أسسها الافارقة القدماء على بعد اثني عشر فرسخا من تيبوت في اتجاه الشرق على بعد فرسخين من الاطلس الكبير في اتجاه الجنوب .انظر:مرمول كرنخال ،مصدر سابق ص30-31 .

⁴ . إبراهيم حركات ،مرجع سابق ،ص 385-401.

⁵ . الزاوية الدلائية : تأسست هذه الزاوية في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري ،حوالي 974هـ/ 1566م أسسها ابوبكر بن محمد سعيد الدلائيين بدعم من شيخه .انظر: الزاوية الدلائية ... مرجع سابق ، ص30.

⁶ . مراکش : مدينة عظيمة، تعتبر حاضرة المغرب ،أسسها يوسف بن تاشفين سنة سبع وخمسين وأربعمئة .انظر:العباس بن إبراهيم السملالي،الاعلام بمن حل مراکش واغمات من الاعلام،راجع عبد الوهاب بن منصور (ط2،الرباط:المطبعة الملكية 1413هـ -1993م)ج1 ، ص 57-58.

⁷ . قنطرة أولاد سبا : شرع في بنائها يوم السبت رابع العشر ذي القعدة تسع وسبعين الف بلغ طولها 150 مترمتر عشرة أسواق .انظر محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ،الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية ،دو وتح:ادريس بوهليلة(ط1،المملكة المغربية،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2005م)ج1 ، ص 276،

⁸ . أبو علي اليوسي ، مصدر سابق ، ص 38.

اما مولى إسماعيل قام بتجديد سور مكناسة وافردها عن القصبة اتخذها دار ملكه كما أسس المسجد الأعظم¹ وجامع الأخضر وجعل له بابين باب الى القصبة الباب الاخر الى مدينة وشهيد هذا الأخير القلاع والحصون واهتم كذلك بالعلم هذا أسس خزانة كتب في قصره بها 14 ألف مجلد.

خاتمة الفصل:

من خلال استعراض الأوضاع العامة التي عرفتها البلدين المغاربية (تونس، المغرب الأقصى) خلال الفترة الحديثة، يتضح أنها شهدت تحولات عميقة نتيجة عدة مستجدات. فقد عرفت على وجه الخصوص اضطرابات واغتيالات، إلى جانب التدخلات الأجنبية، مما ساهم في تغيير مستمر للأنظمة الحاكمة. كما أثر هذا الوضع على مختلف الفئات الاجتماعية، لاسيما من الناحية الثقافية، حيث طال التأثير المؤسسات الدينية مثل المساجد والزوايا.

أما اقتصادياً، فقد استمرت هذه البلدان في الاعتماد على الزراعة، وشهدت تونس خلال هذه الفترة صراعاً على الحكم بين أطراف متعددة، ما أسفر عن تغييرات على المستوى السياسي والاقتصادي والديني. اجتماعياً وثقافياً، ساهمت فئات معينة في إحداث نهضة حضارية من خلال إنشاء المنشآت العمرانية والمراكز العلمية، خاصة في المغرب الأقصى، رغم ما عرفه من صراعات على العرش بين أبناء الملوك وأحفادهم، والتي أدت بدورها إلى تدخل أجنبي متزايد وضعف اقتصادي نسبي. ويمكن القول إن البلدين تأثرت بدرجات متفاوتة بالحكم العثماني، وهو ما يبرز في الاضطرابات والصراعات السياسية الداخلية التي مرت بها، لا سيما في تونس، والمغرب بدرجة أقل.

وعليه، يمكن التأكيد على أن هذه البلدان عاشت تجارب متشابهة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، بحكم القرب الجغرافي بينها. وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة العلاقات التي نشأت بينها خلال هذه المرحلة، سواء كانت ودية أو عدائية، لنصل إلى الإشكالية التالية: ما مدى تأثير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب الأقصى وتونس؟

¹ . المسجد الأعظم : جدد هذا سنة (1107هـ-1698م) وانتهت فترة العمل به عام (1109-1700م)، قام المولى إسماعيل بالتنصيب المنبر المرونق بالمسجد الأعظم كان هذا سنة اثني عشر ومائة ألف (1112هـ. 1703م) انظر عبد الرحمان بن زيدان بن محمد السجلماسي ، تحاف الاعلام الناس بجمال خاضرة مكناس ، تح : علي عمر (ط1 ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية 1347هـ . 2008م) ج1 ص 199-200.

الفصل الثاني: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التونسية والمغربية

المبحث الأول: مظاهر العلاقات الاقتصادية

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية

مقدمة الفصل:

تعتبر المبادلات التجارية احدى الاليات المهمة في التواصل والتعارف والاندماج بين الأقطار العربية التونسية المغربية باعتبارهم دول مغربية تحافظ على العادات والتقاليد منذ العصور القديمة ومن بداية القرن السادس عشر الى غاية القرن التاسع عشر ميلادي حيث كانت هذه البلدان تتوفر على شبكة طرق تربط بلدان مع بعضها التي ساهمت في تنقل الافراد والقوافل بشكل مستمر دون انقطاع ، كما ساهمت في توطيد هذه العلاقة من خلال المصاهرة والهجرة التي اثرت على تزايد فكرة التقارب اكثر أكثر فالحياة الاجتماعية كانت تشكل محور أساسي في تطوير المجتمع المغربي في مختلف الميادين وذلك تشجيع النشاط البشري بما يسهل الارتقاء والتواصل داخل بلادهم وخارجها بين دول الجوار.

المبحث الأول مظاهر العلاقات الاقتصادية:

1-1- المبادلات التجارية:

شهدت المبادلات التجارية بين تونس والمغرب الأقصى في العهد العثماني تواصلا تجاريا تأثر بالعوامل السياسية والجغرافية والدينية المشتركة منذ بداية القرن السادس عشر الى نهاية قرن التاسع عشر على الرغم من ان تونس والمغرب الأقصى لم يكونوا تحت نفس السيطرة المباشرة، كانت ايالة تونس ولاية عثمانية بينما حافظ المغرب الأقصى على استقلاله النسبي تحت حكم سلاطين العلويين بحكم أن بعض التبادلات كانت تأتيهم اثناء موسم الحج فكانت قوافل الحجيج المغربية تمر على مناطق من الجزائر لتصل الى تونس ثم الشرق .¹

1-1-1- الصادرات والواردات التونسية :

شهدت العلاقات التجارية بين إيالة تونس والمغرب الأقصى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر نشاطاً ملحوظاً، رغم التوترات السياسية التي كانت تسود أحياناً بين الدول المغاربية. وقد ساعد الموقع الجغرافي لكل من تونس والمغرب على تطوير المبادلات التجارية، سواء عبر الطرق البرية التي تمر عبر الجزائر أو عبر الطرق البحرية عبر سواحل المتوسط.

تنوّعت صادرات تونس نحو المغرب الأقصى وشملت عدة مجالات:

المنتجات الزراعية: كانت تونس تصدر إلى المغرب الأقصى زيت الزيتون بكميات معتبرة، بالإضافة إلى الحبوب مثل القمح والشعير، خاصة خلال سنوات الوفرة الزراعية²، أما المنتجات الحرفية من أبرز الصادرات التونسية نحو المغرب نجد المنسوجات الصوفية والكتانية، والتي كانت تتميز بجودتها العالية. كما كانت الجلود المدبوغة التونسية مطلوبة في الأسواق المغربية³. العطور والأدوية التقليدية، حيث اشتهرت تونس بصناعة العطور مثل ماء الورد وماء

¹ . القوافل :ان الحديث عن القوافل المتبادلة بين البلدان المغاربية يستوجب الوقوف عند أنواعها فهي ليست تجارية بحتة ولنما فيها جانب ثاني هو الجانب الديني ،او ما يطلق عليها بقوافل الحجيج ركب الحج الذي يقطع البلدان المغاربية انطلاقا من المغرب الأقصى مروراً بالجزائر ثم تونس وليبيا متجهاً نحو المشرق "البقاع المقدسة" لتأدية مناسك الحج كل عام ،فكانت هذه العملية سنوية لتحقيق اهداف دينية و دنيوية منها الحج وطلب العلم ، وبيع المال ،قيل في ذلك حج و حاجة ،فحين كانت قوافل ذات الطابع التجاري هدفها الرئيسي المتاجرة بيعا وشراء بين ارجاء ومراكز المغرب العربي حاملة مختلف السلع ومستوردة احتياجات ومتطلباتها ونفس الوقت خضوعها لتنظيمات مسبقة قبل انطلاقا خروجهم لتجارة كاختيار الزمن والشهر المناسب والوقت

² عبد الجليل التميمي ،العلاقات التونسية المغربية خلال عهد العثماني ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 22 1989، ص 49.

³ محمد الطاهر المنصوري ، التجارة والملاحة في إيالة تونس خلال عهد العثماني ، دار سراس للنشر تونس ، 1993 ص 112.

الياسمين، فضلاً عن تصدير بعض الأدوية العشبية.¹ أما المنتجات البحرية فقد شملت الصادرات كذلك الملح المستخرج من سبخات تونس وبعض أصناف الأسماك المجففة.² تأثرت حركة الصادرات بعدة عوامل:

الاستقرار السياسي النسبي: خلال بعض الفترات من القرن الثامن عشر، خاصة في عهد حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية (حكم من 1705)، عرفت تونس استقراراً سمح بازدهار التجارة³. التهديدات البحرية: ظلت أنشطة القراصنة في البحر الأبيض المتوسط تشكل تهديداً للسفن التجارية، مما دفع التجار إلى اتخاذ تدابير خاصة مثل تشكيل قوافل بحرية محمية⁴.

العلاقات بين الإيالات المغاربية: تذبذبت العلاقات بين تونس والمغرب بين التحالف والصراع، مما انعكس مباشرة على حجم المبادلات التجارية⁵ حيث كانت الواردات التونسية تشمل الخيول المغربية حيث عرف المغرب الأقصى تصدير خيول عربية بربرية متميزة كانت مطلوبة في تونس لاستخدامها في الجيش والتنقلات الخاصة بكبار مسؤولين⁶. الجلود والصوف⁷ والعسل بعض الأعشاب الطبية والكتب والمخطوطات بحكم الروابط الدينية والعلمية حيث كان يتم تبادل الكتب والمخطوطات خاصة من فاس التي كانت مركزاً عملياً مهماً.

1-1-2: الصادرات والواردات المغربية

عرفت الصادرات المغربية إلى تونس خلال العهد العثماني طابعاً تقليدياً يركز أساساً على المنتجات الزراعية والموارد الطبيعية. كان المغرب يُصدر القمح والشعير إلى تونس، خاصة خلال فترات الجفاف التي كانت تعاني منها الأخيرة، إضافة إلى زيت الزيتون والتمور التي تمثل جزءاً من الفائض الإنتاجي المغربي⁸.

¹ المنصف بن عبد الجليل ، الطب الشعبي في تونس ، دراسة تاريخية اجتماعية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2001 ، ص 67.

² احمد السعيد الاقتصاد البحري في المغرب الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998 ، ص 89.

³ محمد حسن ، الدولة الحسينية واثرا في استقرار تونس ، منشورات الجامعة التونسية 1986 ، ص 93.

⁴ . الطاهر المعموري ، القرصنة في المتوسط وتأثيرها على التجارة المغاربية ، دار المعرفة للنشر ، تونس 1990 ص 55.

⁵ . عبد الرحمان الجاموسي ، العلاقات التونسية المغربية في العصر الحديث ، منشورات كلية الاداب ، سوسة ، 2004 ص 141 .

⁶ . عبد الجليل التميمي العلاقات المغاربية العثمانية خلال قرنين 16 و 17 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1986 ص 29

⁷ . سعيد بن سعيد العلوي ، الفكر السياسي المغربي في عصر السعدين ، المركز الثقافي العربي ، داربيضاء 1997 ص 67

⁸ . عبد الجليل التميمي ، العلاقات التونسية المغربية خلال عهد العثماني ، المجلة التاريخية المغربية، عدد 29 ، 1989 ، ص 20 .

كما كانت الخيول المغربية تُعتبر من أجود الأنواع، مما جعلها سلعة مطلوبة في تونس، لا سيما في الاستخدام العسكري والفروسي. إلى جانب ذلك، لعبت الجلود والصوف دوراً مهماً في التجارة بين البلدين، حيث كانت المواد الخام تُصدّر إلى تونس لاستخدامها في الصناعات الحرفية كالخياطة والدباغة¹.

أما بالنسبة للمنتجات الفاخرة، فقد شملت صادرات المغرب بعض العطور التقليدية، وماء الورد، والمصنوعات اليدوية، والتي كانت تلقى رواجاً في الأوساط الحضرية التونسية، خصوصاً في المدن الكبرى كمقر سكنا النخبة السياسية والاجتماعية آنذاك².

تجدر الإشارة إلى أن هذه المبادلات لم تكن خاضعة لتنظيم رسمي موحد، نظراً لانفصال المغرب سياسياً عن الدولة العثمانية، مما جعل العلاقات الاقتصادية تعتمد على التجار المستقلين والقوافل العابرة للصحراء أو الطرق البحرية³. أما الواردات المغربية كانت في تلك الفترة، تعتمد بشكل كبير على استيراد مجموعة من المواد الحيوية والأساسية من الدول الغربية، مثل الساعات والأسلحة وبعض المواد الكيميائية كالكبريت، وأدوات المطبخ والمسكنات. كانت القوافل التجارية تنطلق كل سنة من المغرب باتجاه غينيا، تقطع آلاف الكيلومترات عبر الصحاري محملة بالبضائع، ثم تعود بعد عشرين يوماً مثقلة بمنتجات ثمينة كالإبريز والعاج وريش النعام، تُصدّر لاحقاً إلى دول الجوار كالجيزة وتونس.

وفي المقابل، كانت المغرب تستورد من الدول الأوروبية بدورها أنواعاً من الصوف المصبوغ، والقطن، والحرير الفاخر، فضلاً عن التبغ، الذي كانت تصدره إلى دول مجاورة كالجيزة⁴ وتونس، فضلاً عن ذلك تستورد معدات الحربية من أوروبا للدفاع عن نفسها ضف الى هذا فأنها استوردت من الجزائر الاقمشة الصوفية ذات صنع المحلي وريش النعام⁵.

¹ محمد المنوني، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعدين، الرباط: دار الغرب الإسلامي، 1990، ص112.

² عبد الهادي تازي، أبحاث في تاريخ المغربي، دار البيضاء، دار الرشاد الحديثة 1984، ص178.

³ ناصيف ناصر، التجارة في العالم الإسلامي خلال العصر الحديث، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1995، ص 93.

⁴ حسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار البيضاء دار الثقافة للنشر والتوزيع 1986 ص 19

⁵ محمد العربي الزيري، التجارة الخارجية لشرق الجزائري، (د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1972)

1-2 المحطات الطرق والأسواق التجارية

شهد التبادل التجاري بين دول المغرب العربي نشاطاً ملحوظاً خلال الفترة الممتدة من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر، وذلك نتيجة لتوفر المسالك والطرق التي يَسَّرَت حركة القوافل بين هذه الدول. وقد ساهم هذا الأمر في تصدير واستيراد مختلف السلع، مما أتاح لهذه الدول تبادل أهم المنتجات التجارية فيما بينها، واستغلال الأسواق المتاحة. ورغم بُعد المسافات وصعوبة التنقل، فقد استمرت القوافل في أداء دورها الحيوي، من خلال تلبية متطلبات النقل بين المحطات التجارية المختلفة.

1-1-2: الطرق المحطات التجارية

تعدّ الطرق والمحطات التجارية من الوسائل الأساسية التي سهّلت حركة التجار بين المناطق المختلفة، سواء داخل الدولة الواحدة أو بين الدول خلال فترة الحكم العثماني. فقد أدّت هذه الوسائل دوراً حيوياً في استمرار التبادل التجاري دون انقطاع، مما جعلها ذات أهمية كبيرة، ومن أبرز هذه الطرق نذكر:

- **طريق تونس:** ينطلق من قسنطينة ويتجه جنوباً ليصل إلى منطقة الخروب، ثم يواصل حتى يبلغ الكاف، ومنها إلى العاصمة التونسية¹. تستغرق الرحلة على هذا الطريق حوالي 25 يوماً سيراً على الأقدام، وكان يُفضّل استخدامه لما يحتويه من مرافق وخدمات ضرورية تساعد القوافل على الوصول بأمان رغم طول المسافة.²

1. كرم بوطرو، الجزائر في عهد الديات، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر تبسة موقع : relmounigieeh.artion.com

مرجع سابق ص 64

² محمد العربي الزبيري مرجع سابق ص 152 انظر ملحق رقم 2.

³ القمار: مدينة تقع على بعد حوالي 14 كلم من مدينة الوادي، انظر نفسه ص 154

- **طريق قفصة ونفطة:** يبدأ هذا الطريق من الوادي، ويمر عبر منطقة قمار¹ حتى يصل إلى قفصة. هناك ينقسم إلى فرعين: أحدهما يتجه مباشرة إلى نفطة، بينما يتجه الآخر شمالاً شرقياً نحو قرية فرن²، حيث يجتمع فيه تجار الزبيان³، ثم تتابع القافلة طريقها نحو الشرق لتصل إلى مدينة قفصة⁴.
- **طريق غدامس:** يبدأ هذا الطريق من ورقلة ويتجه شرقاً إلى مدينة غدامس. كان السفر على هذا الطريق صعباً للغاية بسبب وجود الكثير من الرمال المتحركة، ولم نجد الماء إلا بعد ثلاثة أيام من انطلاقنا. ورغم هذه الصعوبات فإن ذلك لم يمنع من استخدامه كطريق رئيسي إلى أسواق المغرب وتونس والسودان والجزائر حيث كانت القوافل تلتقي وتتبادل البضائع المختلفة⁵. وتشير بعض المصادر أيضاً إلى وجود طرق أخرى تربط المدن الجزائرية والمغربية.
- **طريق تيهرت وسجلماسة:** كانت تربطهم علاقة وطيدة تجلّت في الروابط العلمية، والمصاهرة، . وقد أسهم هذا الواقع في ازدهار الحركة التجارية بين البلدين⁶. ويُعد ذلك دليلاً واضحاً على أهمية هذا الطريق وفعاليته في

². فرن: مدينة تقع بين طريق الواصل بين الوادي وتبسة. انظر: محمد العربي الزيري، مرجع سابق ص 154.

³. الزبيان: هي مدينة بسكرة التي تعتبر أشهر الواحات الصحراوية تدعى ملكة الجنوب، احمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري** (دط، الجزائر دار البصائر للنشر والتوزيع 2009) ص 139.

⁴. محمد العربي الزيري، مرجع سابق، ص 152.

⁵. محمد العربي الزيري، مرجع سابق ص 157.

⁶. سمير مزرعي، "الطرق التجارية في المغرب الأوسط: دورها في تنشيط الحركة التجارية"، دورية كان تاريخية، ع28، (يوليو 2015) ص 119.

تنشيط التبادل التجاري خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين اعتمده الشيخ احمد ناصر الدرعي¹ في سنة 1702م بالإضافة الى علماء اخرون² وصفوا هذا الطريق ومراحلها³.

- **طريق تلمسان فاس:** كانت القوافل التجارية تنطلق عبر هذا الطريق من تلمسان لتصل إلى سجلماسة، مروراً بفاس، ثم إلى تادلة، فإلى درعة، وصولاً إلى سجلماسة. كما يوجد مسار آخر يمر بعدد من القرى والمحطات، مثل كُور ومولاي، قبل أن ينتهي أيضاً في سجلماسة. وتُحذر الإشارة إلى أن سجلماسة كانت تُعد مركزاً مهماً للتبادل التجاري.⁴

من بين المحطات التجارية التي يتم فيها استراحة نذكر ما يلي:

- **محطة تافيلالت (سجلماسة القديمة):** ولعبت دوراً بارزاً في خدمة التجار واستقبال أو توجيه القوافل من وإلى المغرب. وأصبحت نتيجة لذلك قاعدة للقوافل المتجهة إلى تيهرت وورقلة وتونس والقيروان.⁵
- **محطة قابس:** وكانت بمثابة محطة توقف للقوافل المارة بمنطقة الجريد في طريقها إلى وجهات مختلفة، وكذلك للقوافل الحجاج المتجهة شرقاً. بفضل موقعها الاستراتيجي فهي تعد من أهم المراكز التجارية بفضل موقعها الاستراتيجي.⁶

¹ . أحمد بن الناصر الدرعي: هو أبو العباس سيد أحمد بن أبي عبد الله بن محمد بن ناصر الدرعي، ولد بقرية بواي درعة جنوبي مراكش تسمى تمكروت بالمغرب الأقصى (1057هـ - 1647م)، كان أبوه شيخاً للزاوية الناصرية، عرف عليه حبه للسفر، خاصة لأداء فريضة الحج، فوصف رحلاته الثلاث وحملت بعنوان الرحلة الناصرية، فوصفَ فيها أغلب المسالك والقبايل انطلاقاً من مسقط رأسه بالمغرب الأقصى مروراً بالجزائر وطرابلس وتونس ومصر وصولاً إلى الحجاز انظر: سمير مشوشة: "الطرق التجارية بين البلدان المغاربية من خلال رحلات مغاربية (الرحلة الناصرية و الورثيانية كنموذج)" مجلة لكسيكوس في التاريخ والعلوم الإنسانية في التاريخ، ع الثاني (ماي 2016)، ص 35. وانظر أيضاً: الملحق رقم 1.

² . نذكر من بين العلماء الذين اعتمدوا هذا الطريق أبي سالم العياشي (1090هـ - 1679م) لأكثر من مرة من 1649 إلى غاية 1661، وعبد السلام بن الناصر، والحشتوكي (1127هـ/1715م) مرتين بين 1684 و 1707م .

³ . صالح بوساليم وعمر بن قايد، الاضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب رحلات المغاربة "مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع21، (ديسمبر 2015م) ص 268 .

⁴ . سمير مزرعي ، طرق التجارة، مرجع سابق ص 119.

⁵ . رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية واثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) 2014 ص 33 .

⁶ . نفسه، ص 37

2-1-2: الأسواق التجارية

كانت الأسواق تقع في المدن أو القرى، ويشرف عليها البايليك مقابل رسوم، وكانت تقام أسبوعياً أو سنوياً. ازدهرت هذه الأسواق السنوية بفضل القبائل البدوية¹ التي كانت، بقيادة زعماء العرب، تتبادل المنتجات من الجنوب وتونس والغرب الأقصى وحتى أوروبا.² كان يعتقد أن السوق هو المكان المناسب لتعزيز التبادل التجاري بين المناطق المختلفة. وقد ساهم ذلك بشكل كبير في رسم خريطة شبكة الطرق بين دول المغرب العربي، باعتبار أن هذه الدول نفسها تشكل نقاط انطلاق ووصول. ووصف العياشي في الرحلة على النحو التالي: "نزلنا ببلاد أو كيرت... اشترت اللوازم التي أحتاجها للسفر إلى مكان آخر من السكان المحليين... وأقمنا يومين وبدلنا ما ضعف".³ كانت أسواق قسنطينة مركز تجاري هام ذلك موقعها هام في وسط بين الجزائر وتونس.⁴

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية

لم تكن العلاقات بين إيالة تونس والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني مجرد علاقات سياسية أو دبلوماسية تحددها موازين القوى أو توجهات الحكام، بل تجذرت هذه العلاقات في البنية الاجتماعية والثقافية للشعبين، ما منحها طابعاً مستمراً، متجاوزاً لتحولات الظرف السياسي. وقد برزت مظاهر متعددة لهذا التداخل الاجتماعي، عكست عمق الروابط الحضارية والانتماء المشترك إلى مجال مغاربي واسع تتداخل فيه العناصر الدينية والثقافية والاقتصادية.

ففي ظل غياب الحدود السياسية الصارمة بالمفهوم الحديث، لعبت العوامل الاجتماعية دوراً محورياً في تقوية الصلات بين السكان، بدءاً من دور القبائل التي تنقلت عبر الصحراء والمناطق الحدودية، ومروراً بعلاقات المصاهرة بين العائلات والعشائر، وانتهاءً بالحركية الدائمة التي فرضتها الهجرة، سواء أكانت لأسباب اقتصادية أو دينية أو سياسية.

لقد مثلت هذه الأشكال الثلاثة من العلاقات - القبلية، والمصاهرة، والهجرة - أنماطاً تفاعلية مستمرة، ساعدت في تكوين "نسيج اجتماعي مشترك"، ساهم في نقل العادات والقيم، وفي بناء ذاكرة جماعية مغاربية، حافظت على قدر من الوحدة رغم التمايزات السياسية التي فرضها الواقع الإقليمي. ومن هنا، فإن دراسة هذه المظاهر ليست مجرد استعراض لأحداث محلية، بل هي نافذة لفهم آليات التواصل وبناء الانتماء داخل الفضاء المغاربي في العصر الحديث.

¹ . مثل قبائل أولاد سيدي الشيخ والارباح والنمامشة .

² . أكرم بوطروة، مرجع سابق، ص 55.

³ . محمد بن عبد الله العياشي، الرحلة العياشي ...، مصدر سابق، ص 81.

⁴ انظر الملحق رقم 3.

1-1 دور القبائل وتأثيرها على سلطة إيالة تونس والمغرب الأقصى

لعبت القبائل دورًا جوهريًا في ضبط التوازنات الاجتماعية والسياسية داخل إيالة تونس والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني. وإذ لم يكن حضور الدولة مركزيًا في جميع المناطق، فقد أصبحت القبائل بمثابة وسيط بين السلطة والشعب، وأحيانًا نذًا سياسيًا وعسكريًا. وقد اتخذ دورها أشكالًا متعددة، من المساندة إلى العصيان، ما جعلها فاعلاً رئيسيًا في التفاعلات الاجتماعية والسياسية بين الإيالتين.

1-1-1: القبائل بين الولاء والندية في إيالة تونس

عرفت إيالة تونس منذ القرن السابع عشر وضعًا خاصًا داخل الدولة العثمانية، حيث حظيت بقدر واسع من الاستقلال الذاتي، خصوصًا مع بروز الأسرة الحسينية في القرن الثامن عشر. وفي هذا السياق، لعبت القبائل الريفية دورًا مركزيًا في استقرار السلطة أو اضطرابها. إذ لم يكن بإمكان الباي التحكم في المجال الريفي إلا عبر نظام "المخزن"، أي تحالفه مع القبائل المخزنية، التي كانت تتولى جباية الضرائب وضمان أمن الطرقات مقابل امتيازات سياسية واقتصادية¹.

وقد ساهمت هذه العلاقات المخزنية في إعادة إنتاج الولاءات داخل المجتمع القبلي، حيث انقسمت القبائل إلى "مخزنية" و"رّحالة" أو "ناثرة"، ما يعكس الطابع المتغير للعلاقة بين القبائل والدولة. ومن هنا يظهر أن الدولة العثمانية، عبر إيالة تونس، لم تكن تفرض سلطتها بالقوة فقط، بل عبر شبكات الولاء والتفاوض، وكان للقبائل كلمة في ذلك².

1-1-2: استقلالية القبائل ونموذج "السلطة اللامركزية" في المغرب الأقصى

على خلاف تونس، لم يخضع المغرب الأقصى مباشرة للحكم العثماني، وظلت السلطنة الشريفة مستقلة في سياساتها. إلا أن التحدي الأكبر الذي واجه السلاطين العلويين تمثل في القبائل "غير المخزنية"، خصوصًا في الأطراف والجبال، مثل قبائل الأطلس المتوسط والصحراء. فالدولة المغربية، كما تونس، لم تتمكن من بسط سيادتها على كامل ترابها، إلا عبر "التحكم المرن" في القبائل، لا سيما عبر آلية "الظهير"، الذي يمنح شيوخ القبائل شرعية محلية في مقابل الولاء للمخزن وقد مثّلت القبائل المغربية خزانًا بشريًا واقتصاديًا وعسكريًا هامًا للسلطة المركزية.

¹ . ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 318 (جامعة الكويت، 2010)، 45.

² . أحمد بن تيشة، الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في تونس خلال العهد العثماني - الأسرة الحسينية، رسالة ماجستير، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2022، 87.

فبفضلهم حافظ المخزن على توازناته الداخلية، لكنهم شكّلوا أيضاً عامل تهديد في فترات ضعف السلطة، مثلما حصل خلال أزمة السلطان عبد العزيز في مطلع القرن العشرين، حين تصاعدت حركات التمرد القبلي¹

1-1-3: دور القبائل في تشكيل الذاكرة والهوية الاجتماعية المشتركة

رغم تباين الأطر السياسية بين تونس والمغرب، فقد ساهمت القبائل المتنقلة بين الإيالتين في خلق روابط اجتماعية وثقافية عبر الحدود. نذكر مثلاً قبائل الحراطين والصحراء الكبرى التي كانت تتحرك بين الجنوب الشرقي التونسي ووحدات درعة وتافيلالت، ما ولّد ذاكرة اجتماعية مشتركة قائمة على القيم القبلية، والتبادل التجاري، والروابط الدينية (مثل الطرق الصوفية)².

وقد ساهمت هذه التحركات في التقريب بين سكان الإيالتين، وفي تمرير ثقافة التعاون، والحفاظ على الاستقرار الاجتماعي. وفي هذا الصدد، كانت القبائل تمارس وظيفة مزدوجة: فهي من جهة عنصر وحدة داخلية في الدولة، ومن جهة أخرى جسر يربط بين المجتمعات المتجاورة. الروابط بين قبائل الصحراء على وجه الخصوص لم تكن خاضعة لمنطق الدولة الحديثة، بل استندت إلى مرجعيات سابقة، أهمها الانتماء المشترك للطرق الصوفية (كالتيجانية والقادرية)، والنسب، والتقاليد العرفية التي تتجاوز الحدود السياسية المصطنعة.³

إن دور القبائل في المغرب الأقصى وإيالة تونس لم يكن دوراً ثانوياً أو محصوراً في الريف، بل كان أحد مفاتيح فهم التوازنات الداخلية للدولة في العهد العثماني. القبيلة لم تكن مجرد وحدة اجتماعية، بل فاعل سياسي واقتصادي، وأحياناً عسكري، فرض نفسه على السلطة المركزية، وأثر في قدرتها على الحكم والإدارة. كما أن القبائل عبرت عن هوية فوق قطرية، من خلال تحركاتها وتقاليدها وتحالفاتها، وأسهمت بذلك في خلق ذاكرة اجتماعية عابرة للحدود، تمثل امتداداً لمفهوم "الأمة" الإسلامية، وليس الدولة القطرية الحديثة.⁴

1-2: دور المصاهرة في تقريب سكان إيالة تونس والمغرب الأقصى

1-2-1: المصاهرة كآلية لفض النزاعات وبناء التحالفات

¹ . عبد الله العروي، مجتمع المخزن (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2001)، ص 112.

² . مصطفى التليلي، "الحركة الصوفية في بلاد المغرب والصحراء: الامتدادات الاجتماعية والروحية"، مجلة دراسات مغربية، العدد 15 (وهران: مركز CRASC، 2016)، ص 60.

³ . أحمد التوفيق، الطرق الصوفية والسلطة في المغرب (الرباط: دار توبقال، 1993)، ص 74.

⁴ . محمد الأمين البزاز، القبيلة والدولة في المغرب الأقصى: من المخزن إلى الحماية (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2004)، ص 93.

في البيئة القبلية بشمال إفريقيا، كانت المصاهرة وسيلة تقليدية لفض النزاعات أو تجنبها. فعلى سبيل المثال، كانت بعض القبائل الحدودية الممتدة بين تونس والمغرب (مثل قبائل ورغمة أو أولاد دليم) تعتمد على الزواج لتأمين السلم مع القبائل المجاورة، وتحييد عناصر التوتر القبلي. ومن خلال المصاهرة، كانت القبائل تضمن تحالفًا ناعمًا يصعب خرقه، لأنه يركز على رابطة النسب والمصالح المشتركة.¹

وقد وثقت بعض المصادر المحلية زواجات بين عائلات دينية أو شريفة من جنوب تونس (مثل نفطة وتوزر) وعائلات مرابطية أو فقهية من مناطق تافيلالت أو وادي درعة، ما يعكس حرص هذه النخب على تقوية الروابط عبر المجال المغاربي الأوسع، خاصة في ظل ضعف حضور الدولة المركزية في المناطق الصحراوية.²

1-2-2: البعد الديني للمصاهرة ودوره في توحيد الذاكرة الجماعية

لم تكن المصاهرة محصورة في الجانب الاجتماعي أو القبلي، بل اتخذت بعدًا دينيًا عميقًا، خاصة حين تمت بين أحفاد الزوايا أو الأولياء. فالمكانة الرمزية للعائلات الصوفية في شمال إفريقيا جعلت المصاهرة أداة لتكريس شرعية دينية واجتماعية. على سبيل المثال، ارتبطت بعض فروع الطريقة التيجانية في فزان وورقلة بعلاقات مصاهرة مع عائلات صوفية مغربية، ما ساعد على انتشار الزاوية عبر حدود الإيالتين، وعلى تكوين نخبة دينية عابرة للدول.³

هذا النوع من المصاهرة كان يُنظر إليه كتحالف "روحي" يُعزز الروابط الثقافية أكثر من السياسية، لكنه أسهم بشكل غير مباشر في نشر ثقافة موحدة وقيم اجتماعية متقاربة. وبهذا المعنى، فإن المصاهرة في بعدها الديني ساهمت في بناء "ذاكرة مشتركة" بين سكان تونس والمغرب، تركز على القداسة والبركة والانتماء الصوفي المشترك.⁴

1-2-3: المصاهرة والتكامل الاقتصادي عبر الحدود

من النتائج غير المباشرة لعلاقات المصاهرة بين سكان إيالة تونس والمغرب الأقصى، ما ترتب عنها من تسهيلات في التبادل التجاري والتنقل بين العائلات. فالزواج بين عائلات تجارية (خصوصًا في الجنوب التونسي وسوس المغربي) خلق شبكات ثقة، سهلت عمليات بيع وشراء القوافل، وتأمين المسالك، خاصة في غياب سلطة مركزية موحدة.

¹ . أحمد توفيق المدني، الجزائر في القديم والحديث: الجزء الثاني (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1974)، ص 219.

² . محمد المختار السوسي، المعسول، ج. 7 (الرباط: دار الكتب، 1963)، ص 102 .

³ . عبد الحي بن التهامي، "العلاقات الروحية بين زوايا فزان والمغرب الأقصى"، مجلة التاريخ المغاربي، العدد 32 (الجزائر: جامعة وهران، 2014)، ص 77.

⁴ . مصطفى التليلي، "الحركة الصوفية في بلاد المغرب والصحراء: الامتدادات الاجتماعية والروحية"، مجلة دراسات مغربية، العدد 15 (الجزائر: مركز CRASC، 2016)، ص 63.

وتُظهر الوثائق العرفية أن بعض العقود التجارية أبرمت بين أصهار أو أقارب، ما يكشف عن دور المصاهرة في تفعيل شبكة اقتصادية محلية غير رسمية، عابرة للحدود¹.

بل أكثر من ذلك، فإن العديد من العائلات التي استقرت في أسواق الجنوب التونسي (مثل قابس ومدنين) تعود أصولها إلى أسر مغربية قدمت من سجلماصة أو ورزازات، وتوطنت تدريجيًا بفعل علاقات المصاهرة، لا الفتح أو الهجرة الجماعية. وقد ساعد هذا الامتزاج الأسري على تجذير الشعور بالانتماء المتبادل، وعلى خلق تصور جماعي بالتماهي بين الفضاءين المغربي والتونسي في أذهان السكان.²

1-3: دور الهجرة في تقريب سكان إيالة تونس والمغرب الأقصى

شكّلت الهجرة أحد العوامل الاجتماعية الحيوية في بناء العلاقات بين الشعوب والمجتمعات الإسلامية، وخاصة في المغرب الإسلامي خلال العهد العثماني. وقد لعبت الحركة السكانية بين إيالة تونس والمغرب الأقصى دورًا محوريًا في بناء تقارب اجتماعي وثقافي واقتصادي طويل الأمد. لم تكن الهجرة بين الإيالتين مجرد استجابة لظروف قاهرة، بل كانت تعبيرًا عن ديناميكية تواصلية تغذيها المصالح المشتركة، والانتماء الحضاري، والمرجعيات الدينية الموحدة.

أولا الهجرة السياسية والنخبوية بين الإيالتين

في فترات الاضطراب السياسي أو التغيرات الحادة في بنية السلطة، كان العديد من العلماء، والفقهاء، وحتى القادة العسكريين، يختارون اللجوء إلى الإيالة المجاورة. فعلى سبيل المثال، شهدت تونس في أواخر القرن السابع عشر موجات نزوح نحو المغرب الأقصى، خاصة بعد تصاعد النزاعات بين الدايات والبايات، مما جعل بعض الفقهاء والطلبة يتوجهون إلى فاس ومراكش لمتابعة تحصيلهم أو بحثًا عن الأمن والاستقرار³.

بالمقابل، استقبلت تونس علماء مغاربة فرّوا من اضطرابات داخلية، خاصة خلال أزمت انتقال السلطة بين السلاطين العلويين. هذه الهجرة النخبوية لم تقتصر على النزوح بل أدّت إلى تعميق التفاعل الفكري والديني، من خلال تأسيس الزوايا، والمشاركة في الحياة العلمية المحلية، ما خلق نخبة هجينة شكّلت جسورًا ثقافية فعالة بين الطرفين.⁴

¹ . عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحيب (بيروت: دار الفكر، 2006)، ج.6، ص 154.

² . محمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مصدر سابق، ص 215.

³ . محمد زين العابدين المستغاني، الهجرة في المغرب العربي خلال العصر الحديث (الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، 2018)، ص 65.

⁴ . عبد المجيد الشرقي، تاريخ الفكر الإسلامي في تونس (تونس: دار محمد علي، 2001)، ص 143.

ثانياً: الهجرة الاقتصادية والبحث عن سبل العيش

كان الدافع الاقتصادي أحد أبرز محفزات الهجرة بين تونس والمغرب، خاصة في المناطق الحدودية والصحراوية. فقد شكّلت مواسم الجفاف أو تراجع النشاط الفلاحي، أو الضغط الضريبي، عوامل دفعت العديد من العائلات إلى الهجرة المؤقتة أو الدائمة نحو الجهة الأخرى. تُظهر وثائق الحسبة وعقود البيع والشراء في قابس وقفصة وورقلة، توافد عائلات مغربية على مدى قرون للعمل في التجارة أو الفلاحة، واستقرارها لاحقاً، خاصة حين توفرت شروط التجنس أو المصاهرة¹.

كما أن الهجرة لم تكن دائماً من الجنوب إلى الشمال، بل كانت تبادلية، إذ وفدت على المغرب عائلات تونسية اشتغلت بالصناعات الحرفية أو بتجارة القوافل، لا سيما في مراكش وفاس، وخصوصاً في فترات تراجع الحماية التجارية في الموانئ التونسية.²

¹ . الطاهر المعموري، "الحضور المغربي في الجنوب التونسي خلال العصر الحديث"، مجلة التاريخ المغاربي، العدد 27 (تونس: المعهد العالي للتاريخ، 2010)، 101.

² . أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس، مصدر سابق، ص 57.

خاتمة الفصل:

نستنتج مما سبق أن الطرق والقوافل التجارية لعبت دورا مهما وكبيرا في انتقال التجارة أو قوافل التجارة بين الدولتين خاصة والجزائر معهما خلال العهد العثماني، خاصة بالنسبة لطريق قفصة قابس طريق تونس قسنطينة، فهذه الطرق سهلت التبادل التجاري بالتعرف على كل دولة على منتجات الآخرين، وذلك بالاستيراد والتصدير الذي هو أساس التجارة، كما ساهمت كل دولة في حاجة ماسة إليها وتصدير الفائض الناتج الذي إن كان ينتجه بكثرة فإن من قيمة هذا النشاط باكتشاف كل منطقة أو دولة ما تملكه وما ينقصها.

فالملاحظات التجارية في الأخرى، ومن خلالها يجعل القوافل التجارية المارة على الأسواق تقف للاستزاق و تبادل السلع و بيعها لشرائها و بيعها لمساعدة بعضها طويلة، ضعف إلى هذا فإن العلاقات الاجتماعية جعلت من المجتمع المغربي مجتمعا واحدا بحكم الظروف التي كان يعيشها في التشابه بعض جوانب الحياة، و نجد المصاهرة بين المغرب الأقصى و تونس و ، بل و بعد اختلاط دمائهم مما ساهم في التقارب أكثر، فالزواج يفرض على سكان إيالة تونس الانتقال إلى المغرب الأقصى و العكس، و بهذا يصبح التعرف على المجتمع الآخر و التواصل معه بشكل سهولة، و في أي وقت يريد، كما أن الهجرة قربت المجتمعات الثلاث (الجزائر و تونس و المغرب الأقصى) من انتقال سكان المناطق بين حواضر هذه البلدان، سواء كان ذلك بالضغط الذي يفرضه على تلك المناطق الرغبة في الاستقرار مكان آخر بدافع العمل أو التعرف على تلك المنطقة لنقل أقدامهم و عاداتهم إلى الطرف الآخر، فتشابهت في العادات و التقاليد خاصة في مجال اللباس و الأكل أجرى سكان المغرب الأقصى على التواصل و القرية مع إيالة تونس ، غير أن هذه البلدين عرفت علاقات ثقافية فيما بينها، فما هي الإسهامات التي قدمتها كل دولة إلى الأخرى؟ وفيما تمثل دور الطرق الصوفية في هذه البلدان وما مدى تأثيرها على الوضع العام القائم في كل منهم؟

الفصل الثالث: العلاقات الثقافية التونسية والمغربية

المبحث الأول: الرحلات العلمية

المبحث الثاني: الطرق الصوفية في تونس والمغرب الأقصى.

مقدمة الفصل:

التواصل الثقافي ظل مستمرا بين الأقطار تونس و المغرب الأقصى، حيث لعب ركب الحجاج المغاربة دورا كبيرا في ربط هذا التواصل عن طريق الاتصال المباشر الذي كان يتم بين هؤلاء الحجاج و سكان المناطق التي يمر بها ركب الحج خاصة في القرن السابع عشر إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي كما ساهم العلماء و الرحالة في ربط هذا التواصل بما كانوا يدونونه من تدوين رحلاتهم، و خاصة أثناء زيارتهم للمراكز العلمية التي كانت مراكز الأخذ و العطاء بين مختلف العلماء بغرض الأخذ بما هو متاح، فأدى هذا ليتلقونها لتدعيمهم من أجل تكوين جيل متعلم، هذا ما نلاحظ في عدد من العلماء الذين تنقلوا إلى تونس و المغرب الأقصى و الذين تركوا الأثر البارز في التقريب بين سكان هذه الحواضر و ذلك من خلال ما حملته الطرق الصوفية من مبادئ أخلاقية أثرت في المجتمعات المغاربية، و هذه الأخيرة حظيت بالاهتمام من طرف حكام هذه الأقطار من خلال منحهم امتيازات كالإعفاء دفع الضرائب من طرف مشايخ الصوفية و ما إلى ذلك، عليه يمكن القول أن كل من العلماء و الطرق الصوفية كان لهم أدوار هامة في تاريخ ولايات المغرب بما في ذلك تونس و المغرب الأقصى و التي نستشفها من خلال ما سيتم عرضه في هذا الفصل.

المبحث الأول: الرحلات العلمية وهجرة العلماء

عرفت أقطار المغرب العربي العديد من الرحلات العلمية بين علمائه، هذه الحواضر منذ القرن السابع عشر و إلى غاية النصف الأول من القرن التاسع عشر و هذا بهدف تكوين صلات ثقافية فيما بين علمائها و الاستفادة من علوم و الخبرات المتوفرة في حواضر هاته البلدان خاصة مدينة فاس و تلمسان و تونس التي شكلت محطة عبور جل العلماء، إليها لاتصال بعلمائها و أخذ منابع العلم من هناك، و خاصة المغرب الأقصى و تونس لتوفرهما على جامع الزيتونة و جامعة القرويين اللتين كانتا قبلة للعلماء من المشرق. و لا يسعنا أن ننسى أنه كانت هناك حركة معاكسة من خلال اتجاه بعض من علماء المغرب الأقصى و تونس إلى الجزائر للأخذ من خبرة علمائها، و في هذه المرحلة شكلت هجرة العلماء دورا مهما في التقريب بين علماء البلدين "، تونس، المغرب الأقصى" و هذا ناتج عن استقرار العديد من العلماء في هاته الحواضر خاصة في الأماكن التي قصدوها كفاس، تلمسان، تونس نظرا لما تحتويه من خزائن علمية، و تفوق علمائها في شتى الأصناف العلوم و هذا من أجل تبوء مكانة علمية و وظائف هامة في هذه الحواضر العلمية.

1-1-الرحلات العلمية:

عرف القرن السابع عشر تنقل كثير من علماء البلدان الثلاثة الجزائر، تونس، المغرب الأقصى وكان الهدف الأول من الوافدين التحصيل العلمي وهذا من خلال الاتصال بعلماء الحواضر، ما نقصده كانت هناك مختلف الرحلات العلمية بين الشمال الافريقي¹ هدفت الى تحقيق تواصل بين العلماء هاته الحواضر وتبادل الزيارات وهذا ما نتج عنه ثقافة مغاربية مشتركة التي مازالت مستمرة الى يومنا هذا.²

1-1-1- تعريف الرحلات العلمية:

كان العرب الرحلة منذ العصر الجاهلي كون انهم اهل بدواة فهم يتبعون منابت الكلاء. وكانوا تجاراً يرحلون من مكان إلى آخر طلباً للربح والمال، كما ذكر القرآن الكريم رحلتي قريش. قال الله تعالى: ﴿إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش 2³]. ولكن الحصاد من السفر ليس جمع المال فقط، بل يطلب العلم أيضا، وهو من أنبل التي يدفع الإنسان للسفر. لقد حثت الإسلام الناس دائماً على طلب العلم⁴. فالرحلة إذن من الناحية اللغوية هي السفر،

¹ . افريقيا الشمالية: هي تسمية اطلقها شارل اندري جوليان على كل من الجزائر والمغرب الأقصى وتونس. شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء الى فتح الإسلامي 647م تع محمد مزالي البشريين سلامة (مؤسسة تاولت الثقافية 2011)، ص 7

² . دلندة الارقش واخرون ،المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي مدياكوم 2003 ص مرجع سابق ص 300-307،

³ - سورة قريش، الاية 2.

⁴ . عبد الكريم كروم، رحلات بإقليم توات ، دراسة تاريخية للرحلات مخطوطة بخزائن توات ،دط، الجزائر ،دار دحلب 2001.

وعندما نقول رحل فلان أي انه كثير الترحال¹ والغاية من هذا الأخير هو وصول الى مكان المراد من قبل هذا الفرد².

من الناحية الاصطلاحية، يشير هذا المصطلح إلى هجرة الأشخاص من وطنهم الام إلى بلد مجاور لتحقيق أهدافهم واموالهم من هاته الرحلة³. وعليه فان الرحلة العلمية هي التي تقوم على مغادرة العديد من الاشخاص وخاصة العلماء من اجل وطلب للعلم في أماكن مختلفة. ومن ثم أخذ أن القرآن الكريم كان له دور بارز في تحفيز العلماء على الشروع في رحلتهم. وفي الحديث دليل واضح على ان طلب العلم يتطلب جهدا فعلى الطلبة الاجتهاد أكثر من اجل بلوغه كما انا طلب العلم كان من أولويات كل طالب لهذا نجد ان السنة هي الأخرى حثت على طلب العلم فعن البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة »⁴ وبالإضافة الى هذا يرى ابن خلدون " ان رحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم فالرحلة ضرورية من اجل تحصيل العلوم ولقاء مشايخ ومباشرة الرجال "

1-1-2- اهم رحلة علمية بين الدولتين

تعتبر تونس من اهم الحواضر التي كانت مقصد العلماء، ومن اهم هؤلاء الذين اتجهوا الى تونس لدينا احمد بن قاسم البوني⁵ نشأ هذا الأخير في أسرة ميسورة الحال، تنتمي إلى جماعة بشرية واسعة الامتداد، تشمل مناطق تقع غربا نحو

¹ . شوقي الضيف واخرون، المعجم الوسيط (د 4، مصر: مكتبة الشروق الدولية 1425هـ-2004م) ص334. وأيضا محمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون(دط، دار الفكر للطباعة والنشر)، ص 497، 498.

² محمد يوسف النواب عواطف، الرحلات المغاربية والاندرلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن هجريين (ط4، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية)، ص41.

³ مبارك بن الصافي جعفري العلاقات بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ (ط1، الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع 1430هـ-2009) ص 136.

⁴ عن البخاري الحديث ن البخاري الحديث [11/10] باب العلم القول والعمل. النظر: أبي محمد عبد الله بن سعد بن أحمد بن أبي حمرة الأندلسي، جمع النهاية في بداية الخير والغاية، وهو مختصر صحيح البخاري، تحقيق هيثم الشهابي، أحمد بن عبد الكريم نجيب (البيان: دار الكتب العلمية 1428هـ-2007م)، ص14.

⁵ -احمد بن قاسم البوني: هواحد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني ولد في عنابة سنة 1653م، يعتبر هذا الأخير من فقهاء المالكية تصدر الاقراء بالازهر الشريف له كتب منها فتح الاغلاق على وجوه مسائل الخليل بن إسحاق، توفي هذا الأخير سنة 1726م، انظر عادل نويهض ، معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، (ط2مزيدة، لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية تاليف والترجمة والنشر 1400هـ-1980م) ص49-50.

قسنطينة، وشرقاً نحو نواحي الكاف وباجة. ويُستدل من ذلك على أن البوني قد تلقى تعليمه في هذه المناطق¹، لاسيما في عنابة وتونس، قبل أن يشد الرحال إلى مصر، حيث تعلم واخذ العلم على يد الشيخ عبد الباقي الزرقاني، المتوفى سنة 1688م².

وبعد هذه الرحلة العلمية، عاد أحمد بن القاسم البوني إلى مسقط رأسه، متفرغاً للتدريس والتأليف. ويُعد من أبرز مؤلفاته كتاب الدرّة الموصولة في علماء وصلحاء بونة. وتجدر الإشارة إلى أن عدد مؤلفاته قد بلغ 175 عنواناً، معظمها مصاغ في قالب "الأراجيز"، وتتعلق موضوعاتها بعلوم الحديث والسنة النبوية والقرآن الكريم.

أبرز الرحلات والشخصيات العلمية في تونس

1. محمد بيرم الخامس

يعد محمد بيرم الخامس من أبرز العلماء الإصلاحيين في تونس خلال القرن التاسع عشر، وقد قام برحلة إلى المغرب الأقصى، حيث التقى بعدد من العلماء المغاربة في فاس والرباط، واطّلع على الأوضاع العلمية والتنظيم التربوي هناك. وقد أثّرت هذه الرحلة في آرائه الإصلاحية لاحقاً، خاصة في ما يتعلّق بتنظيم التعليم الزيتوني وتجديد الخطاب الديني³

2. الشيخ علي النيفر التونسي

هو من علماء القرن الثامن عشر، انتقل إلى فاس لطلب العلم بعد أن تلقى تعليمه الأولي في تونس، وأخذ عن شيوخ مغاربة كبار، لا سيما في الفقه المالكي وعلم الحديث. وقد مكث سنوات طويلة هناك، قبل أن يعود إلى تونس حاملاً معه عدداً من الإجازات والمؤلفات⁴

3. عبد السلام جسوس الفاسي

عالم مغربي بارز في القرن الثامن عشر، قام برحلة إلى تونس، حيث درّس في جامع الزيتونة والتقى بعدد من العلماء التونسيين. وقد تركت زيارته أثراً في الطلبة الذين تتلمذوا على يديه، وساهمت في تعزيز الصلات بين المدرستين العلمية المغربية والتونسية⁵.

¹ أحمد بن قاسم البوني، الدرّة الموصولة في علماء وصلحاء بونة، تق تح مسعد بوفلاحة (الجزائر: منشورات بونة للبحوث والدراسات 1428هـ - 2007م) ص12.

² - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط1، شركة دار الامة للنشر والتوزيع 2009، ج3

. محمد المختار بن ديب، الحياة الثقافية في تونس في العهد العثماني (تونس: دار سراس للنشر، 2003)، ص 145.

⁴ محمد العروسي بن يوسف، أعلام تونس في العصر العثماني (تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 1999)، ص 201.

. عبد الله الجارري، فاس في العصر العلوي (الرباط: منشورات وزارة الثقافة، 2005)، ص 176.

4. الرحالة المغاربة عبر تونس في طريق الحج

كانت تونس محطة هامة في طريق الحجاج المغاربة، ما جعلها مسرحًا لحركة علمية غير مباشرة، حيث كان الحجاج العلماء يُلَقِّنون دروسًا ومحاضرات قصيرة في مساجد تونس الكبرى، لا سيما جامع الزيتونة، وغالبًا ما تنشأ عنها علاقات علمية ممتدة. منها : الرحلة الناصرية الكبرى صاحبها الشيخ بن ناصر الدرعي 1647م-1717م.¹

المبحث الثاني: الطرق الصوفية في تونس والجزائر

تمثل حركة التصوف² خلال العهد العثماني امتدادًا طبيعيًا للتيارات الصوفية التي نشأت في القرون السابقة، إذ إن معظم مؤسسي الطرق الصوفية في التاريخ الإسلامي، لا سيما في تونس والمغرب الأقصى، قد برزوا قبل القرن السادس عشر الميلادي. وقد انتشرت هذه الطرق بدايةً في المدن قبل أن تنتقل إلى الأرياف.³

ومع اقتراب نهاية العهد العثماني، بدأت الطرق الصوفية تفقد بعضًا من أبعادها الروحية الأصيلة، لتتجهز تدريجيًا في الجوانب الطقوسية والممارسات الشكلية. وقد نتج عن ذلك ظهور عدد كبير من الفروع التي استندت في مبادئها إلى الطرق الصوفية الأصيلة، وهي الفروع التي سيتناولها هذا الفصل⁴ نظرًا لدورها البارز في تطورات الأحداث السياسية والاجتماعية في أقطار المغرب العربي، ولا سيما في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى.

1-1-تعريف الطرق الصوفية

يقصد الطرق الصوفية اللغة: يُشير إلى "الحال" أو "النهج"، فيقال: فلان يسلك طريقة حسنة أو أخرى سيئة، كما قد يدل على المذهب أو المسلك الذي يتبعه الفرد في سلوكه الروحي والديني. اذ كان محمود او مضموما،

¹ محمد المنوني، الرحلات المغربية في العهد العلوي (الرباط: كلية الآداب، 1988)، ص 81.

² . التصوف: مشتق من كلمة الصوف، وتعني به المكوث على العبادة والانقطاع إلى الله ترك دنيا وزخرفتها أنظر: الطاهر توناتي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين 12- 13 الميلاديين نشاطه، تأثيراته في الحقل الثقافي و الفكري و السياسي، مساهمة في التاريخ الديني و الاجتماعي في العصر الوسيط (عين مليلة: دار الذاكرة للطباعة، و النشر و التوزيع 2004) ص 34.

³ . ابوقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م (دار البصائر للنشر والتوزيع) ج1، ص472.

⁴ . الطاهر الواحي، "لمح النشاط العلمي و الروحي و الثقافي بسطيف، و أواخر العهد العثماني"، المجلة العصور الجديدة (سطيف: العدد 18، أوت 1436هـ -2015م) ص 122.

من الناحية الاصطلاحية، فتعني بها أن المتصوف يحدد طريقة أو مسلك يسير عليه نحو وصوله إلى الله تعالى، وذلك من خلال نيل رضوانه، بالإضافة إلى هذا أداء الفرائض، ومنها: تلاوة القرآن، وقراءة الأذكار بشروط خاصة.¹

الطريقة الشاذلية: إحدى أبرز الطرق الصوفية التي تأسست على يد أبي القاسم الجنيد²، الذي تأثر بشدة بالشيخ شعيب أبو مدين الأندلسي³، الفقيه الشهير الذي اشتهر في القرن الثاني عشر الميلادي في الأوساط الإسلامية. تطورت هذه الطريقة على يد الشيخ عبد السلام بن مشيش⁴، الذي يعد من كبار شيوخ التصوف في المغرب. نشأ عبد السلام بن مشيش المغربي الاصل، ثم تخرج على يد الحاكم، لينتقل بعد ذلك إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي⁵، يعتبر هذا الأخير محورياً في توسيع نطاقها، مما جعلها واحدة من أوسع الطرق الصوفية انتشاراً، خصوصاً في تونس⁶، حيث تعد الطريقة الشاذلية واحدة من أهم الطرق الصوفية بعد الطريقة القادرية⁷.

الطريقة الشاذلية: فهي تنسب إلى أحمد بن مخلوف الشاذلي⁸، الذي تتلمذ على يد أحمد بن عروس في عام 1467م وآخرين. تعود أصول هذه الطريقة إلى الطريقة الشاذلية، وذلك لارتباطها الوثيق بالشيخ أبي الحسن الشاذلي⁹، غير

¹ . عبد الكريم مرتاض، الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني 924-1246هـ/1518-1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية، (جامعة وهران 1 احمد بن بلة 2015-2016)ص18

² . ابن قنفذ التلمساني، أنيس الفقير وعز الحقير، مر: محمد القاسي إدولف غور (جامعة محمد الخامس: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي 1965م) ص 81.

³ . شعيب أبو مدين الأندلسي: ولد سنة 520هـ-1111م وتعلم في جامعات إفريقيا المشهورة، انظر: عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة في غرب قارة السمراء، "الموسوعة التاريخية للشباب"(منشورات وزارة الثقافة و السياحة مديرية الدراسات التاريخية وحياء التراث)ص100

⁴ . عبد السلام بن مشيش: شيخ الإمام أبي الحسن الشاذلي أحد أقطاب الطريقة الشاذلية العظمى توفي سنة 622هـ-1223م. انظر: علي برادة، حزام القاسي، جواهر المعاني... مصدر سابق،

⁵ . أبي الحسن الشاذلي: ولد في عمارة 593هـ - 1196م، وهو أحد أعمدة التصوف في جميع العصور توفي في سنة 656هـ - 1258م، انظر: عبد الكريم مرتاض، مرجع سابق ص 29

⁶ . عمار هلال، الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص 100.

⁷ . أحمد دكروش عوائق الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس 1801-1900م القادرية التجانية النقشبندية (رسالة نيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر)، جامعة الجزائر 2، 2009-2010م، ص 31

⁸ . أحمد بن مخلوف الشاذلي: استقر في مدينة تقع على الساحل التونسي بين صفاقس وسوسة خلال القرن 11هـ - 17م، انظر: عمار هلال، مرجع سابق، ص 107.

⁹ . عبد الكريم مرتاض، مرجع سابق ص28

أنَّ الفضل في تمهيد الطريق للطريقة الشاذلية يُنسب إلى الشيخ ابن مخلوف، في حين يُعتبر سيدي عرفة الشاذلي المؤسس الحقيقي لها، إذ قام بتحويل الشاذلية إلى منهج روحي ومسلِك ديني متكامل.

وقد واجهت الطريقة الشاذلية في تونس معارضة شديدة من قبل السلطات العثمانية، ما أدى إلى انقطاع نشاطها مؤقتًا. غير أنَّها عادت للظهور لاحقًا تحت مسمى جديد هو "بيت الشريعة"، والذي أسَّسه محمد المسعودي الشاذلي¹ في الصحراء الجزائرية التونسية،² مؤسسًا بذلك لبُعد اجتماعي وروحي جديد للطريقة.

1-2-2- في المغرب الأقصى

الطريقة الدرقاوية، فقد أسَّسها الشيخ محمد العربي الدرقاوي في المغرب الأقصى³ وانتشرت بسرعة لافتة في الأوساط المغربية، ويُعزى ذلك إلى ما تحلَّى به مؤسسها من سموٍّ أخلاقي وتجرد ظاهر وباطن عن زخارف الدنيا، مما جعله قدوة روحية متقبَّلة لدى مختلف الفئات. وعندي: "ما من رسول ولا نبي الا كان متجردا ومحذرا متبعيه منه"⁴ وكان يرى أن جميع الرسل والأنبياء قد تميَّزوا بهذا التجرد، وحثَّ أتباعه على اتباع نهجهم، وسعيها للتوافق من خلال التزامها بمبادئ السنَّة النبوية، مستلهمة في ذلك سلوك النبي مع صحابته. وهذا ما منحها قوة روحية ونفوذًا اجتماعيًا واسعًا، إضافة إلى محبة كبيرة من عموم الناس⁵

¹ . كوثر العايب، العلاقات الجزائرية، مرجع سابق، ص 49.

² . التليبي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939م، (رسالة دكتوراه جامعة تونس: منشورات كلية الاداب بمنوية 1992م) ص 51.

³ . فارس العيد، العلاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس 1848-1930، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران 2016-2017 ص 18-20.

⁴ . إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية (ط2)، دار البيضاء: دار الرشاد الحديثة 1415هـ- 1994م) ص 269.

⁵ . نجيب زينب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، تق احمد بن سودة (لبنان دار الأمير للثقافة والعلوم) ص 100.

الطريقة الناصرية: التي أسسها محمد بن ناصر في المغرب الأقصى¹، فرعاً من الطريقة الشاذلية. وقد قام مؤسسها بإنشاء زاوية حملت اسمه، سرعان ما تحولت إلى واحدة من أبرز الزوايا في جنوب المغربي، حيث توسعت لتشمل ما يقارب ثلاثمائة فرع. أسهم هذا الانتشار في تزايد ممتلكات الزاوية وارتفاع مداخيلها، مما جعلها تحظى بمكانة مؤثرة في المجتمع. غير أن هذا التوسع صاحبه نشوء صراعات داخلية بين أعضائها، خصوصاً عقب وفاة كل شيخ منها، الأمر الذي استدعى تدخل السلطة المخزن² لتسوية الخلافات الناشئة، وهو ما يعكس ارتباط الزاوية الناصرية بالمخزن ويدل على خضوعها لتأثيره المباشر.³

1-3- الانتقال ومدى تأثير الطرق على البلدين

1-3-1- في تونس

- الطريقة التيجانية: يُعدّ إبراهيم الرياحي من أوائل من أدخل الطريقة التيجانية إلى تونس، وذلك بعد أن تلقاها عن الشيخ علي حرازم هناك. وتنسب هذه الطريقة إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن مختار التيجاني، الذي منح الإذن لأحمد بن محمد بن سالم التيجاني لنشرها في تونس، وكان ذلك في منتصف شهر جمادى الأولى من سنة 1216 هـ (1802م)⁴. وخلال رحلته إلى المغرب الأقصى سنة 1804م، التقى هذا الأخير بالشيخ أحمد التيجاني في مدينة فاس، وتأثر به كثيراً، حتى منحه الإجازة لنقل الطريقة ونشرها في تونس. وبفضل مكانته العلمية وعلاقاته الوثيقة بحكام تونس، لاقت الطريقة التيجانية رواجاً واسعاً، وبدأت تنتشر أولاً بين أفراد الطبقة الحاكمة والنخبة المثقفة. وتعد

¹ . محمد بن ناصر: محمد بن ناصر هو شيخ الطريقة الشاذلية الناصرية الشهير، و رئيس الزاوية الناصرية بتمكروت، و هو أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ناصر بن حسين بن عمر بن عثمان، توفي سنة 1085هـ - 1674م. انظر: محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية 1664-1894م، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة 1997م ص 86-87

² . المخزن: جهاز إداري يتكون من وزراء و إداريين، يمثل فيه السلطان أعلى سلطة في بلده. انظر: مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في المغرب القرن التاسع عشر (المملكة المغربية: منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 26 1995م)، ص 21.22.

³ . نجيب زبيب، مرجع سابق، ص 357.

⁴ . إبراهيم الرياحي، تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، ط1، تونس، مطبعة بكار وشركائه، 1321هـ-1912م ص 12.

زاوية "حوانيت عاشوراء" التي تُعتبر أول زاوية تيجانية في تونس العاصمة¹، والتي أصبحت تضم لاحقًا خمس زوايا أخرى.

انتشرت الطريقة التيجانية انطلاقًا من زاوية "قمار" بباب المنارة²، حيث شهدت توسعًا ملحوظًا في مناطق الشمال والشرق. وقد ساهمت العلاقات الطيبة التي ربطت زوايا تماسين بالجزائر مع حكام تونس في تعزيز هذا الانتشار، حيث تلقت هذه الزوايا الدعم والهدايا، إضافة إلى تسهيلات مكنتها من بناء الزوايا، مما يعكس أبعادًا سياسية أكثر من كونها روحية³.

من العوامل التي أسهمت في انتشار الطريقة التيجانية، سهولة تعاليمها وانضواؤها تحت مسلك الشكر، فضلًا عن تنظيمها الذي لا يفرض قيودًا صارمة، باستثناء منع زيارة القبور لغير سيد الوجود⁴.

الطريقة الدرقاوية في تونس: تنسب الطريقة الدرقاوية إلى الشيخ محمد العربي أحمد بن يوسف، المعروف بلقب "أبي درقاوي"، وهو شريف إدريسي الأصل وُلد في قبيلة بني زروال⁵ قرب مراكش سنة 1737م. تلقى علومه في التدريس والتصوف، وتأثر بدروس الشيخ عبد الرحمن الجمل الفاسي، أحد أبرز شيوخ الطريقة الصوفية المتفرعة عن مسار أبي مدين شعيب⁶. وقد مكّنه هذا التأثير من تأسيس زاويته الخاصة في منطقة بربري، حيث استطاع جذب عدد كبير من المريدين والأتباع، معتمدًا في تعاليمه على الطريقة الشاذلية⁷.

الطريقة الرحمانية: ساهم قرب مدينة تونس من الجزائر في تيسير انتشار الطرق الصوفية في الأراضي التونسية. وقد انتشرت الطريقة الرحمانية استنادًا إلى هذا العامل الجغرافي، معتمدة في ذلك على الأسس التي قامت عليها تعاليمها

¹ . التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص 44.

² . بن يوسف التلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائرالحكم العثماني الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية (1780-1900م)، (مذكورة انيل شهادة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر) جامعة الجزائر 1997-1998م، ص 107،

³ . نفسه ص 108.

⁴ علي براءة، حرازم الفاسي، جواهر المعاني في فيض سيدي ابي عباس التجاني محمد بن بركة (الجزائر: دار الحكمة 2007، المجلد الخامس ج1، ص 09.

⁵ الاغا بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر و اسبانيا وفرنسا أواخر قرن 17م، تح: يحي بوعزيز (ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع 1990م)، ج2، ص 302.

⁶ ابو مدين شعيب: أصله من بجاية، توفي عام 594م. انظر: عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، (ط3 الرباط: دار الكتب العربية 1663) ج1، ص 140.

⁷ صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر تاريخها ونشأتها، ط2، الجزائر، دار البصائر 2009، ص 152.

منطقة الجريد الواقعة في القطر التونسي من المناطق ذات الأهمية التاريخية، ويُعزى الفضل في ذلك إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي الرحامي¹، التي أسهمت بدور فعال في تعزيز أواصر التواصل والتقارب بين سكان كلٍّ من الجزائر وتونس، وذلك من خلال بناء علاقات وروابط اجتماعية وروحية متينة بين شعبي البلدين².

ومن الجدير بالذكر أنّ الطرق الصوفية التي انتشرت في تونس قد لعبت دوراً محورياً في دعم المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي فيما بعد.

1-3-2- في المغرب الأقصى:

الطريقة الشاذلية: تُعد الطريقة الشاذلية، المنسوبة إلى الإمام أبي القاسم الجنيد، من أبرز الطرق الصوفية وأكثرها التزاماً بمنهج أهل السنة والجماعة، كما تُعد من أكثر الطرق انتشاراً في منطقة المغرب الأقصى³. وقد اكتسبت هذه الطريقة طابعاً رسمياً في البلاد، نظراً لاقتراحها بالمذهب المالكي في الفقه، وهو ما شكّل إطاراً مرجعياً موحدًا بين التصوف والفقه المالكي.

ومن أبرز أعلام هذه الطريقة الشيخ أبو بكر الدلائي⁴، الذي تلقى تعاليم التصوف عن شيخه أبي عمر القسطلي المراكشي، ويرتبط الدلائيون من خلال هذا النسب الروحي بسلسلة الطريقة الشاذلية عبر الشيخ أحمد زروق⁵. وتُعد الزاوية الدلائية من أشهر المؤسسات الصوفية التابعة لهذه الطريقة، وقد اشتهر من مريديها محمد بن أبي بكر العياشي، المتوفى سنة 1657م، وهو والد الرحالة المعروف أبو سالم العياشي، الذي أسّس الزاوية العياشية⁶، والتي اتخذت من الجهاد ضد الاحتلال مبدأً أساسياً لنشاطها لاحتلالهم ثغر المعمورة المهدية⁷، يُلاحظ انتشار واسع للطرق الصوفية،

¹. نفسه، ص 157.

² أحمد عميزاوي **علاقات بايليك**... مرجع سابق ص 47-48.

³ حنفي هلال، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني** (ط1 الجزائر: دار الهدى للنشر 2009) ص 56.

⁴ محمد بن أبي بكر الدلائي، 1046هـ - 1636م هو شيخ أحمد المقرئ و ذكر أنه يفقد التثبوت و التحري اللازمين في الزاوية. انظر: محمد الصغير

الإفراني، **وقفات في تاريخ المغرب**: مهاد للأستاذ إبراهيم بو طالب "الوشي العَقْرِي في مساورة الإمام المقرئ"، تنق و تح: عبد الله نجمي (ط1،

المملكة المغربية: منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط 2001)، ص 589.

⁵ أحمد زروق: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي عرف بزروق، أحد كبار الفقهاء و الصوفية المشهورين في العالم الإسلامي.

انظر: عبد الله كنون، **ذكريات من مشاهير المغرب**.

⁶ محمد حجي، **الزاوية الدلائية، ودورها الديني والعلمي والسياسي** (المغرب: المطبعة الوطنية بالرباط 1964م) ص 50-54.

⁷ عبد اللطيف الشاذلي، **الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17** (ط1، المملكة المغربية: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بالرباط، اطروحات و رسائل 1982، 10) ص 122.

وعلى رأسها الطريقة الشاذلية، التي حظيت بتأييد عدد كبير من العلماء في المنطقة، ومن أبرزهم العالم على اليوسي¹. ويُعزى هذا الانتشار إلى التحولات السياسية والدينية التي رافقت مرحلة حكم محمد الحاج الدلائي، حيث تمكن الدلائيون من بسط نفوذهم على مناطق متعددة من بينها تطوان ومكناس والزيتونة، مما ساهم في ترسيخ حضور الطريقة الشاذلية في هذه الحواضر².

الطريقة التجانية، فإن مؤسسها الشيخ أحمد التجاني لم يقتصر على نشر تعاليمه في تونس فحسب، بل عمل على توسيع نفوذها نحو المغرب الأقصى. وتُعدّ الفترة الممتدة بين عامي 1777 و1778 بداية فعلية لانتشار هذه الطريقة في المغرب، وذلك انطلاقاً من مدينة فاس³، التي عاد إليها الشيخ التجاني للمرة الثانية، واستقر بها قرابة ثماني عشرة سنة. وقد أسس أول زاوية لتلقين تعاليمه في حي البليدة سنة 1806، ومن هناك بدأت الطريقة في الانتشار الواسع بفضل بساطتها وسهولة تعاليمها.

وقد لاقى هذا الانتشار صدى واسعاً في مختلف أنحاء المغرب الأقصى، خاصة في الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي، مما أثار قلق بعض القيادات الدينية، وعلى رأسهم محمد الكبير⁴ في وهران، الذي واجه انتشار الطريقة بمواقف معارضة، تمثلت في مهاجمة مشايخها في منطقة عين ماضي. هذا الصراع دفع الشيخ التجاني إلى الاستقرار بشكل نهائي في مدينة فاس، حيث واصل نشر تعاليمه، وعمل على استكمال بناء الزاوية التجانية، كما قام بتطوير بردة "حزام الفاسي" الخاصة بالطريقة الخلواتية⁵، وهو ما أسهم في ترسيخ طريقته التجانية وهذا بالإضافة الى وجود ضريح الشيخ التجاني بزاوية فاس مما جعلها مركز استقطاب لدى اتباع التجانية في الشرق والغرب لاسيما غرب افريقيا⁶.

¹ . محمد حجي، مرجع سابق ص 157، 158.

² . فاطمة خليل قبلي، رسائل أبي علي حسن بن المسعود اليوسي جمع وتحقيق ودراسة، ط1 المغرب، دار الثقافة 1981، ص 82.

³ . عمار هلال مرجع سابق، ص 121.

⁴ . محمد الكبير: هو أبو عثمان الفقيه المجاهد، محمد بن عثمان باي الايالة الغربية تولى حكم سنة 1783م انظر الاغا بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 289، 290.

⁵ . على براءة حرازم الفاسي، مصدر سابق، ص 21.

⁶ . بن يوسف التلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية، 1782-1900م رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 1997-1998 م، ص 111.

خاتمة الفصل:

انطلاقاً مما تم ذكره سابقاً، يمكننا أن نستنتج أن التواصل الثقافي بين تونس والمغرب ظل قائماً عبر العصور، وقد تجلّى ذلك من خلال رحلات العلماء بين هذه البلدين لتبادل المعارف والأفكار. فقد شكّل هذا التفاعل الثقافي جسراً لتمرير الخبرات والعلوم، حيث لم تكن هناك حواجز تفصل بين هؤلاء العلماء الذين سعوا جاهدين لاكتساب العلم ونقله إلى غيرهم. كما شهدت كل من تونس والمغرب نشاطاً ملحوظاً لهجرة العلماء واستقرارهم في بلدان الجوار، وذلك بسبب اهتمام الحكام بهم وتقديرهم لعلمهم.

وقد ساهمت هذه الهجرات في خلق مناخ علمي مشترك، خاصة منذ القرن الثامن الهجري، إذ عرفت الحياة الثقافية والعلمية في البلدين نشاطاً كبيراً وثراءً فكرياً. وكان لهذا التلاقح دور مهم في إثراء الفكر العلمي والإبداع المعرفي. ويمكن القول إن تلك الفترة شكّلت نقطة تحول محورية في بناء علاقات ثقافية متينة بين العلماء، انعكست من خلال تبادل المعرفة وتكوين أجيال جديدة من التلاميذ الذين كان لهم أثر مستقبلي واضح.

خاتمة

خاتمة:

نستنتج مما سبق ذكره أن الأوضاع العامة التي شهدتها البلدان خلال القرن السابع عشر ميلادي، غلب عليها التوتر والصراع في أغلب فترات التاريخ الحديث، نظرا للصراع على السلطة بتغير حكامها من فترة الى فترة أخرى ضعف حيث كان الوضع في كل كالاتي:

- كانت تونس ولاية تابعة للدولة العثمانية منذ منتصف القرن 16م. كان الحكم يُدار من قبل دايات ثم البايات (أسرة المراديين ابتداءً من أواسط القرن 17م). شهدت البلاد اضطرابات داخلية وصراعات على السلطة بين الدايات والبايات، ما أدى إلى عدم استقرار سياسي.
 - تأثرت تونس بالآزمات الاقتصادية بسبب ضعف التجارة نتيجة الحروب الأوروبية في المتوسط. ازدهر نشاط القراصنة (الجهاد البحري)، وكان مصدرًا مهمًا للدخل. الزراعة تأثرت بالتغيرات المناخية والآزمات الطبيعية.
 - الوضع الاجتماعي: عانت البلاد من الفقر وعدم المساواة، رغم وجود طبقة ميسورة من التجار والقراصنة كان المجتمع متنوعًا ويضم العرب، الأمازيغ، والأندلسيين المطرودين من إسبانيا.
- اما الوضع في المغرب الأقصى في القرن 17م كالاتي:

- لم يكن المغرب تابعًا للدولة العثمانية، بل حافظ على استقلاله، بداية القرن 17م كانت تحت حكم السعديين، لكن الدولة السعدية ضعفت وتفككت بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي 1603. تلتها فترة فوضى سياسية وصراعات داخلية إلى أن ظهرت الدولة العلوية في منتصف القرن، والتي وحدت البلاد في النصف الثاني من القرن بقيادة السلطان المولى الرشيد (حكم من 1666).
- كان الوضع الاقتصادي يتأثر التجارة نتيجة الاضطرابات السياسية، لكن المناطق الجنوبية عرفت انتعاشًا نسبيًا بفضل القوافل الصحراوية. كانت المدن مثل فاس ومراكش مراكز اقتصادية وثقافية مهمة ساد اضطراب اجتماعي بسبب الحروب الأهلية والنزاعات القبلية شهدت البلاد هجرات داخلية وتراجعًا في الاستقرار إلى أن بدأ الاستقرار يعود مع الدولة العلوية.
- نضيف الى هذا كله فإن العلاقات بين البلدين لم تقف عند هذا الحد بل تجاوزت الجانب الاقتصادي والإقليمي كون أن الحدود لم تكن محددة سياسيا، فمشكلة الاقتصاد بين تونس والمغرب تأثرت بالجانب السياسي والإقليمي كذلك، حيث ان الطرق والقوافل التجارية لعبت دور مهم في انتقال التجارة والقوافل الحجيج بين البلدين خلال عهد العثماني نذكر منها طريق فاس وتلمسان طريق تونس وقسنطينة وطريق غدامس وطريق تھيرت وسجلماسة فضل هذه الطرق

سهل التبادل التجاري وبدا عمليات الاستيراد والتصدير بين البلدين والتعريف بمختلف منتجات متوفرة، مما ساعد افراد المجتمع امتلاك أشياء تساعدهم في الحياة اليومية وتصدير فائض انتاجه الذي كان ينتجه بفترة.

فالمحطات التجارية لها دور مهم يجعل القوافل التجارية تقف لاستراحة لمدة زمنية بهدف استرجاع أنفاسها وقوتها بعد مسافات الطويلة من هذه المحطات التجارية عندنا محطة تافيلالت (سجلماصة القديمة) ومحطة قابس تعد من أهم المراكز التجارية بفضل موقعها الاستراتيجي.

كانت الأسواق تقع في المدن أو القرى، ويشرف عليها البايليك مقابل رسوم، وكانت تقام أسبوعيا أو سنويا. ازدهرت هذه الأسواق السنوية بفضل القبائل البدوية التي كانت، بقيادة زعماء العرب، تتبادل المنتجات من الجنوب وتونس والغرب الأقصى وحتى أوروبا.

غير أن العلاقات الثقافية بين القطرين لم تتأثر بالمشاكل والصراع الذي كان قائما بينهما، فالتواصل الثقافي ظل ساري المفعول بين كل من علماء تونس والمغرب الأقصى الذين كان لهم دور في تقريب بين سكان هذه البلدان وتوحيد صفوفهم وتنويرهم بمختلف أصناف العلوم وإنشاء جيل متعلم، وهذا من خلال الرحلات التي قام بها بعض العلماء من أجل الاستفادة من علماء آخرين والحصول على إجازات من طرفهم.

فالطرق الصوفية هي الأخرى لعبت دورا كبير أيضا في تدبير الاحداث بين هذه البلدان وخاصة الطريقة التي انتشرت في كل من تونس والمغرب الأقصى و التي أصبحت لها أتباع في هاته البلدان و هذا بالإضافة الى الطريقة الشاذلية التي ظهرت في تونس و انتشرت في الجزائر و المغرب الأقصى، هذه الأخيرة اثرت في الاحداث السياسية القائمة في هذين البلدين و منهاجيه الطريقة الدرقاوية التي ظهرت في المغرب الأقصى و انتشرت في كل من الجزائر و تونس و التي كانت وراء ثورة الشريف الدرقاوي و التي ساهمت في اضعاف البايليك.

قائمة الملاحق

قائمة الملاحق

الرقم	عنوان الملاحق	الصفحة
01	خريطة تمثل مسار الطريق التجاري الذي سلكه احمد بن ناصر الدرعي من المغرب الأقصى مار على الصحراء الجزائرية وصولا الى تونس وطرابلس	34
02	خريطة تمثل الطرق التجارية الرئيسية بين البلدان المغاربية خلال قرن 17 و18م	35
03	خريطة تمثل اهم طرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والأسواق التونسية	36

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

الكتب :

- القرآن الكريم (سورة قريش)
- احمد ابن أبي ضياف، تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تج: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية (ط 1 تونس :
- الدار العربية للكتاب 2000 م) مجلد ، ج3
- إبراهيم الرياحي، تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، ط1، تونس، مطبعة بكار وشركائه، 1321هـ-1912م.
- إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية (ط2، دار البيضاء: دار الرشد الحديثة
- 1415هـ-1994م).
- أبو قاسم الزياني، البستان الطريف في دولة أولاد مولاي الشريف، القسم الأول، (من النشأة الى نهاية محمد بن عبد الله) تر: رشيد
- الزاوية (ط1، الرباط: مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني إقليم الراشدية، 1991 م.
- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م (دار البصائر للنشر والتوزيع) ج1.
- أحمد التوفيق، الطرق الصوفية والسلطة في المغرب (الرباط: دار توبقال، 1993).
- احمد السعيد الاقتصاد البحري في المغرب الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998.
- احمد بن قاسم البوني، الدرّة الموصونة في عاماء وصلحاء بونة ، تق تح مسعد بوفلاقة (الجزائر: منشورات بونة للبحوث والدراسات
- 1428هـ-2007م).
- أحمد توفيق المدني، الجزائر في القديم والحديث: الجزء الثاني (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1974).
- الجمل سيار، تكوين العرب الحديث (ط1، الأردن: دار الشروق للنشر 1997م).
- حسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار البيضاء دار الثقافة للنشر والتوزيع 1986.
- حنفي هلاي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني (ط1الجزائر: دار الهدى للنشر 2009).
- دلندة الارقش واخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي مدياكوم 2003.
- سعيد بنسعيد العلوي، الفكر السياسي المغربي في عصر السعدين، المركز الثقافي العربي، دار ببيضاء 1997.
- شوقي الضيف واخرون، المعجم الوسيط(د 4، مصر: مكتبة الشروق الدولية 1425هـ-2004م) محمد بن فارس بن زكريا، معجم
- مقاييس اللغة ، عبد السلام محمد هارون(دط، دار الفكر للطباعة والنشر) .
- صلاح مؤيد العتي، الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر تاريخها ونشأتها، ط2، الجزائر ،دار البصائر2009،.
- الطاهر المعموري، القرصنة في المتوسط وتأثيرها على التجارة المغاربة ،دار المعرفة للنشر ،تونس 1990.
- عبد الجليل التميمي العلاقات المغربية العثمانية خلال قرنين 16 و 17، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1986 .
- عبد الرحمان الجاموسي ، العلاقات التونسية المغربية في العصر الحديث ،منشورات كلية الاداب ، سوسة ، 2004 .
- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحيب (بيروت: دار الفكر، 2006)، ج.6.

- عبد الكريم كروم، رحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية للرحلات مخطوطة بخزان توات، دط، الجزائر، دار دحلب 2001.
- عبد الله العروي، مجتمع المخزن (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2001).
- عبد المجيد الشرفي، تاريخ الفكر الإسلامي في تونس (تونس: دار محمد علي، 2001).
- عبد الهادي تازي، أبحاث في تاريخ المغربي، دار البيضاء، دار الرشاد الحديثة 1984.
- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ الغرب بني وطاس السعدين وظهور الاشراف العلوين، دراسة في تاريخ الإسلامي، (ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي للنشر 1994م) ج6.
- فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربية، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر) (ط1، لبنان: 2007م).
- مبارك بن الصافي جعفري العلاقات بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ (ط1، الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع 1430هـ-2009).
- محمد الأمين البزاز، القبيلة والدولة في المغرب الأقصى: من المخزن إلى الحماية (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2004).
- محمد الطاهر المنصوري، التجارة والملاحة في ايلة تونس خلال عهد العثماني، دار سراس للنشر تونس، 1993.
- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية لشرق الجزائري، (دط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1972)
- محمد المختار السوسي، المعسول، ج. 7 (الرباط: دار الكتب، 1963).
- محمد المنوني، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعدين، الرباط: دار الغرب الإسلامي، 1990.
- محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف من تاريخ تونس، تر محمد شاوش محمد عجية، ط3، تونس، دار سراس للنشر والتوزيع
- محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، الجيلالي بن حاج يحي (ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي 1986م).
- محمد حجي، رحلة الأسير مويط، دار مناهل للطباعة والنشر، المملكة المغربية 1990.
- محمد حجي، الزاوية الدلائية، ودورها الديني والعلمي والسياسي (المغرب: المطبعة الوطنية بالرباط 1964م).
- محمد حسن، الدولة الحسينية واثرا في استقرار تونس، منشورات الجامعة التونسية 1986.
- محمد قبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب (ط1، الرباط: منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب 2011م).
- محمد يوسف النواب عواطف، الرحلات المغاربية والاندرلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن هجريين (ط4، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية).
- المنصف بن عبد الجليل، الطب الشعبي في تونس، دراسة تاريخية اجتماعية، دار الجنوب للنشر، تونس 2001.
- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (الجزائر: المكتبة الوطنية الحامة، اشراف: المركز الوطني للدراسات التاريخية 1979م).
- ناصيف ناصر، التجارة في العالم الإسلامي خلال العصر الحديث، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1995.
- الهادي التيمومي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي (ط1، تونس: بيت الحكمة قرطاج 1999م).
- الهادي التيمومي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1 تونس، بيت الحكمة قرطاج للنشر والتوزيع 1999م

- يسرى الجوهري ، شمال افريقية (ط6 ، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية 1980 م).

المجلات والمنشورات:

-أكرم بوطورة ، الجزائر في عهد الديات ،قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر تبسة موقع : relmounigieeh
artion.com

- سمير مزرعي ،"الطرق التجارية في المغرب الأوسط: دورها في تنشيط الحركة التجارية " ، دورية كان تاريخية ، ع28،(يوليو 2015).
- صالح بوساليم وعمر بن قايد، الاضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب رحلات المغاربة "مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع21، (ديسمبر 2015م) .

- الطاهر المعموري، "الحضور المغربي في الجنوب التونسي خلال العصر الحديث"، مجلة التاريخ المغربي، العدد 27 (تونس: المعهد العالي للتاريخ، 2010).

- عبد الجليل التميمي، العلاقات التونسية المغربية خلال عهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، عدد 29 1989 .

- عبد الجليل التميمي، العلاقات التونسية المغربية خلال عهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، عدد 22 1989.

- عبد الحي بن التهامي، "العلاقات الروحية بين زوايا فزان والمغرب الأقصى"، مجلة التاريخ المغربي، العدد 32 (الجزائر: جامعة وهران، 2014)،

- عبد الكريم الكبير العلوس المدغري، أبوعلي اليوسي، نموذج عن الفكر المغربي في الفجر الدولة العلوية (ط1، المملكة المغربية)

- عبد اللطيف الشادلي، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17(ط1، المملكة المغربية: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، اطروحات ورسائل، 1982).

- على براءة، حرازم الفاسي، جواهر المعاني في فيض سيدي ابي عباس التجاني محمد بن بريكة (الجزائر: دار الحكمة 2007، المجلد الخامس) ج1.

- فاطمة خليل قبلي، رسائل ابي علي حسن بن المسعود اليوسي جمع وتحقيق ودراسة، ط1 المغرب، دار الثقافة 1981.

- محمد خير فارس ، محمود علي عامر ،المغرب الأقصى منذ بداية القرن السادس عشر حتى 1830م سوريا ، ج 1 .

- محمد زين العابدين المستغامي، الهجرة في المغرب العربي خلال العصر الحديث (الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، 2018).

- مصطفى التليلي، "الحركة الصوفية في بلاد المغرب والصحراء: الامتدادات الاجتماعية والروحية"، مجلة دراسات مغربية، العدد 15 (الجزائر: مركز CRASC، 2016).

- مصطفى التليلي، "الحركة الصوفية في بلاد المغرب والصحراء: الامتدادات الاجتماعية والروحية"، مجلة دراسات مغربية، العدد 15 (وهران: مركز CRASC، 2016).

- ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 318 (جامعة الكويت، 2010).

- نجيب زينب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، تق احمد بن سودة(لبنان دار الأمير للثقافة والعلوم).

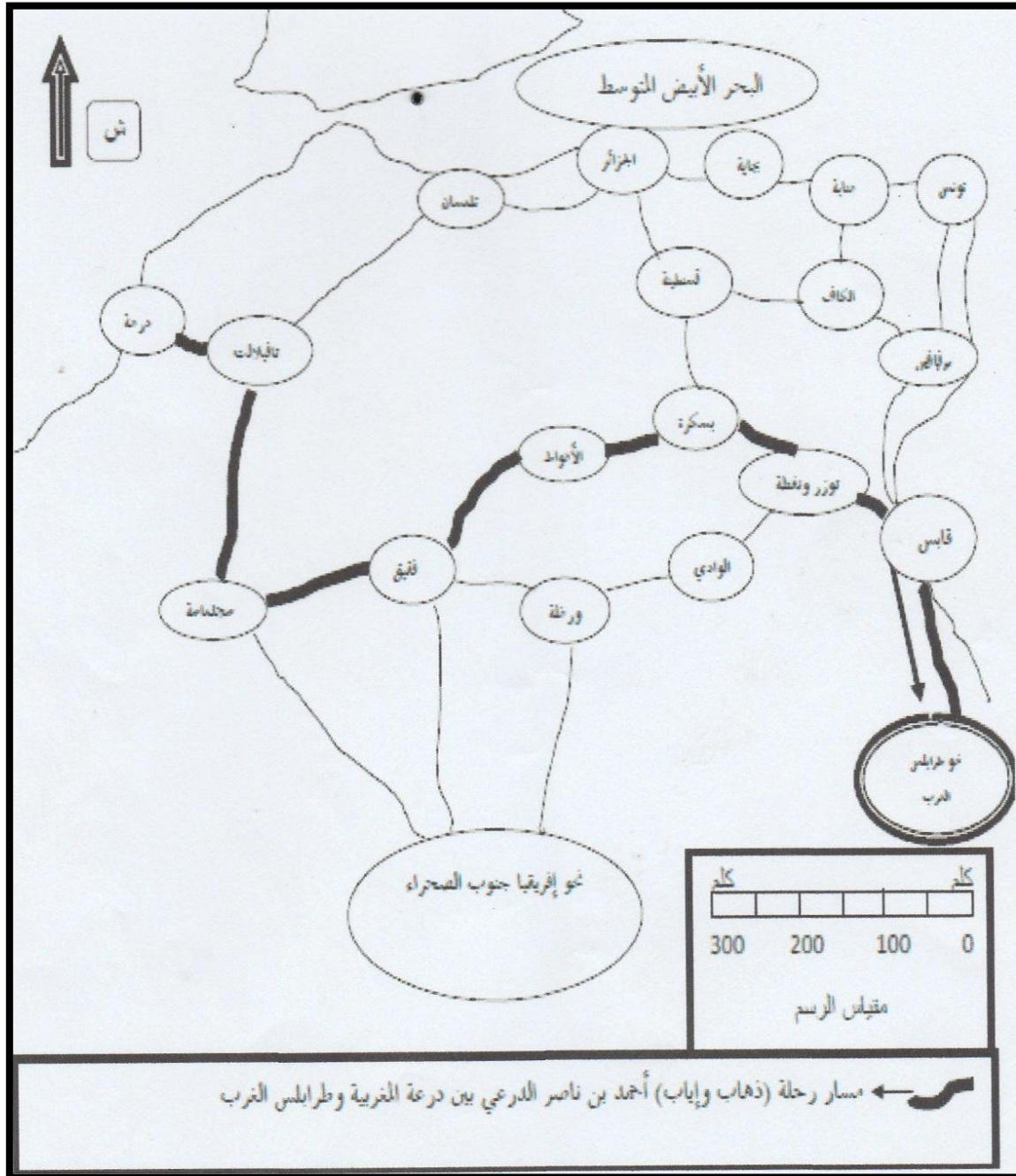
المذكرات:

- أحمد بن تيشة، الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في تونس خلال العهد العثماني - الأسرة الحسينية، رسالة ماجستير، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2022.
- أحمد ذكروش عوائق الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس 1801-1900م القادرية التجانية النقشبندية (رسالة نيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر)، جامعة الجزائر 2، 2009-2010م.
- بن يوسف التلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية، 1782-1900م رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 1997 - 1998 م .
- بن يوسف التلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر الحكم العثماني الأمير عبد القادر الإدارة الاستعمارية (1780-1900م)، (مذكرة انيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) جامعة الجزائر 1997-1998م.
- التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939م، (رسالة دكتوراه جامعة تونس: منشورات كلية الاداب بمنوبة 1992م).
- رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربة واثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) 2014.
- فارس العيد، العلاقات الجزائرية بالمغرب الأقصى وتونس 1848-1930، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة وهران 2016-2017.
- كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الديات 1711-1830 م (مذكرة مقدمة نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) جامعة الوادي 2013-2014 .
- محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين 16 و17، دكتوراه دولة في تاريخ (ط2 ، الرباط :افريقيا الشرق 1998م)
- عبد الكريم مرتاض، الطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني 924-1246هـ/1518-1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية، (جامعة وهران 1 احمد بن بلة 2015-2016).

الملاحق

الملحق رقم 01

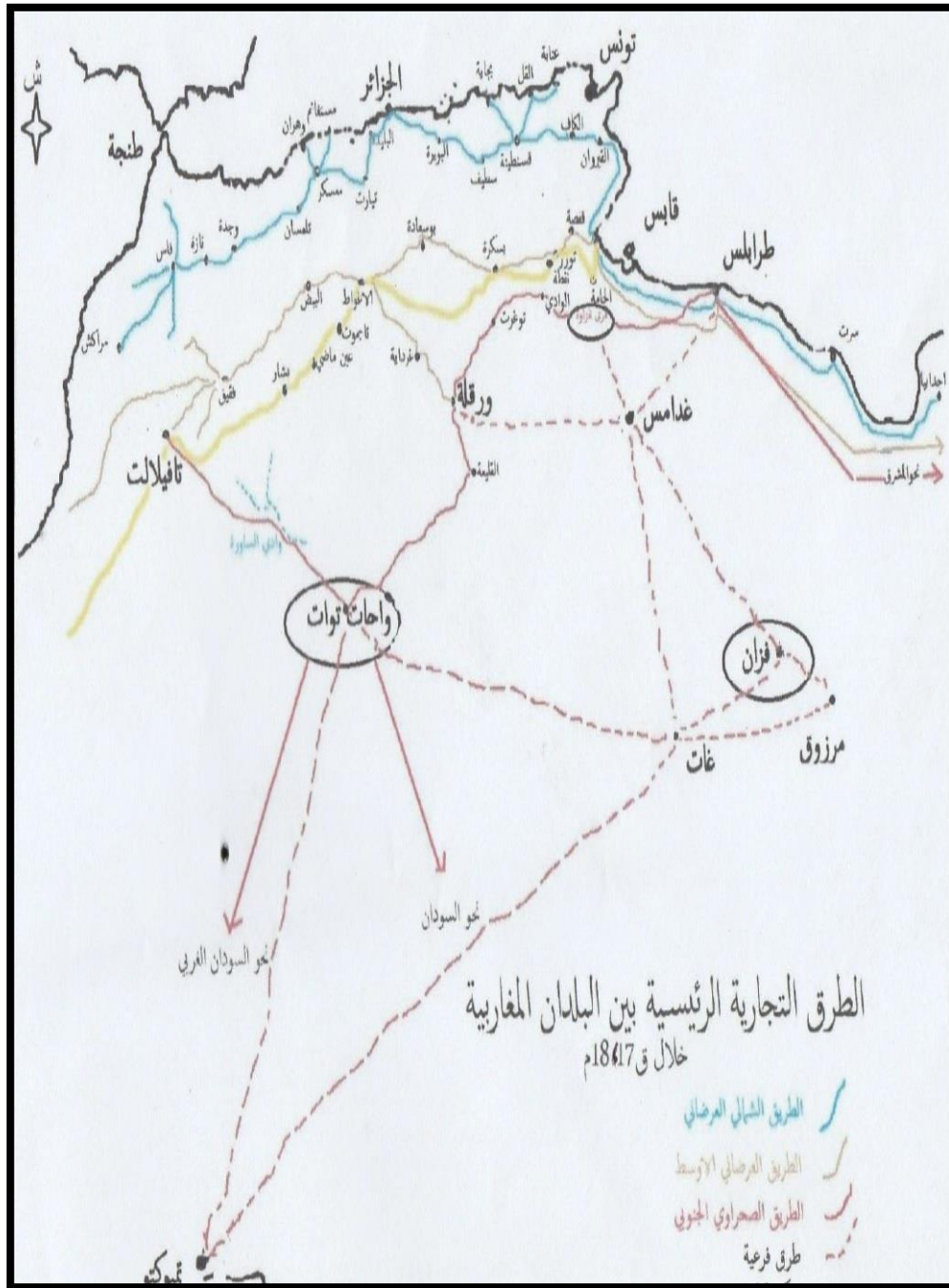
خريطة تمثل مسار الطريق التجاري الذي سلكه أحمد بن ناصر الدرعي من المغرب الأقصى مروراً على الصحراء الجزائرية وصولاً إلى تونس وطرابلس.



المصدر: سمير مشوشة، طرق التجارة...، مرجع سابق ص 37

الملحق رقم 02

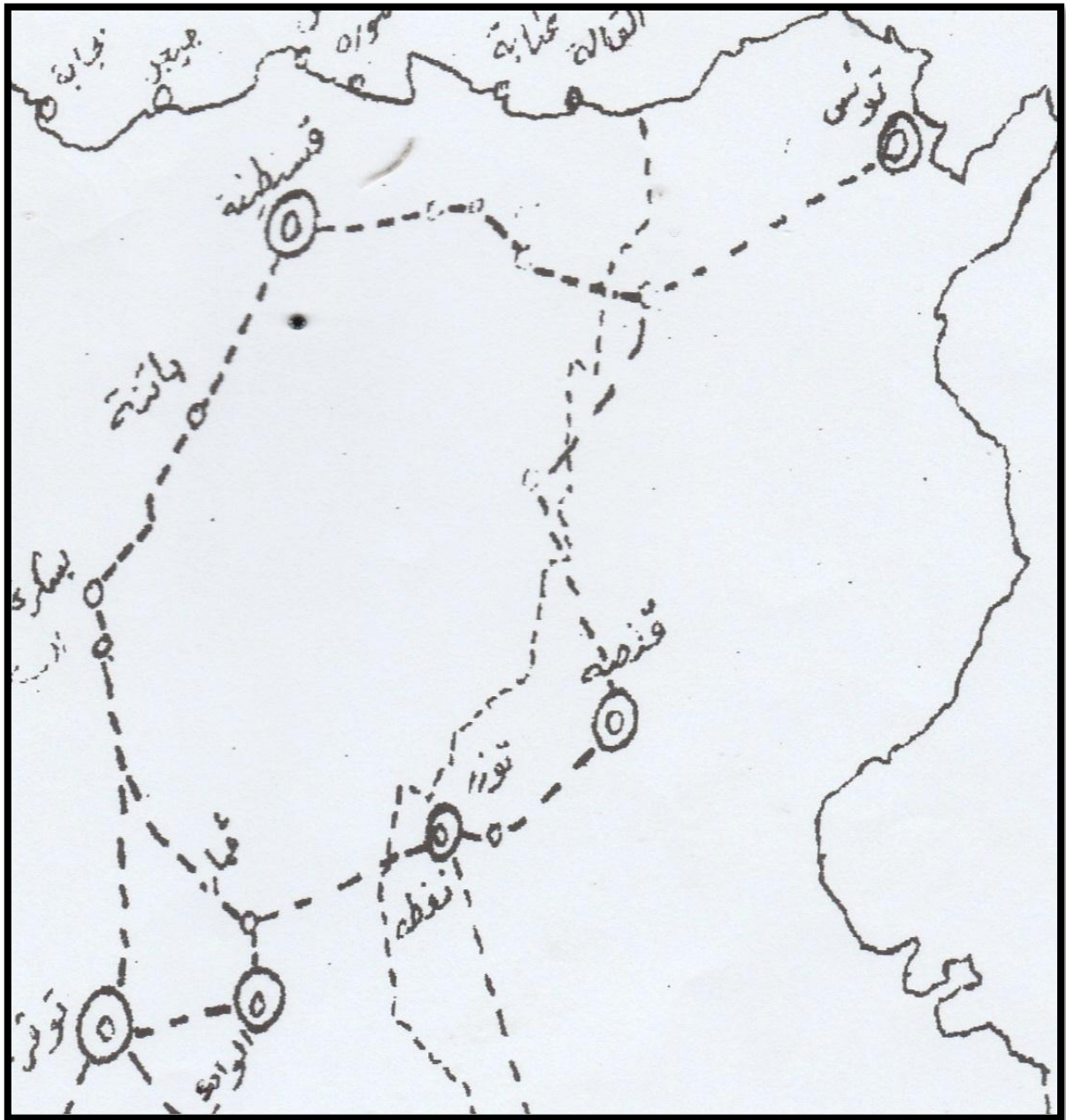
خريطة تمثل الطرق التجارية الرئيسية بين البلدان المغاربية خلال القرنين 17 و18م.



المصدر: رشيد حفيان: الطرق القوافل...، مرجع سابق، ص 30

الملحق رقم 03

خريطة تمثل أهم الطرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والأسواق التونسية



المصدر: احمد العربي الزيري ، التجارة في الشرق ..مرجع سابق، ص179.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

7	شكر وتقدير
8	قائمة المختصرات
7	مقدمة:
8	الفصل الأول: الأوضاع العامة في ايلة تونس ومملكة المغرب الأقصى في القرن السادس عشر
14	مقدمة الفصل:
15	المبحث الأول: الأوضاع العامة في ايلة تونس
15	1.1. الوضع السياسي:
17	2.2. الوضع الاقتصادي:
18	2.3. الوضع الاجتماعي والثقافي:
19	المبحث الثاني: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى
19	3-1- الوضع السياسي:
23	3-2- الوضع الاقتصادي:
25	3-3- الوضع الاجتماعي والثقافي
27	خاتمة الفصل:
13	الفصل الثاني: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التونسية والمغربية
29	مقدمة الفصل:
30	المبحث الأول مظاهر العلاقات الاقتصادية:
30	1-1- المبادلات التجارية:
33	1-2 المخطات الطرق والأسواق التجارية
36	المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية

1-1	دور القبائل وتأثيرها على سلطة إيالة تونس والمغرب الأقصى	37
2-1	دور المصاهرة في تقرب سكان إيالة تونس والمغرب الأقصى	38
3-1	دور الهجرة في تقرب سكان إيالة تونس والمغرب الأقصى	40
	خاتمة الفصل:	42
	الفصل الثالث: العلاقات الثقافية التونسية والمغربية	30
	مقدمة الفصل:	44
	المبحث الأول: الرحلات العلمية وهجرة العلماء	45
1-1	الرحلات العلمية:	45
	المبحث الثاني: الطرق الصوفية في تونس والجزائر	48
1-1	تعريف الطرق الصوفية	48
3-1	الانتقال ومدى تأثير الطرق على البلدين	51
	خاتمة الفصل:	55
	خاتمة	45
	قائمة الملاحق	57
	قائمة الملاحق	60
	قائمة المصادر والمراجع	60
	الملاحق	63
	فهرس المحتويات	71
	الملخص	72

الملخص

الملخص: تهدف هذه الدراسة الى تعرف على العلاقات التي كانت تربط ايالة تونس مع المغرب الأقصى في فترة العثمانية ورصد تطور العلاقات بين البلدين خلال الفترة العثمانية بمختلف ابعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

قد تمثلت إشكالية الدراسة المطروحة في: **عرفت العلاقات التونسية والمغربية في الفترة الحديثة عدة تغيرات تعد انعكاسا لوضعية البلدين، فما هو واقع العلاقات التونسية المغربية من القرن 16 الى القرن 19؟**

من اهم النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة الى ما يلي:

- اقتصاديا ازدهرت التجارة بين ايالة تونس والمغرب الأقصى شملت تبادل مختلف السلع وظهور طرق تجارية وأسواق جديدة ساهمت في هذا الازدهار.
- اجتماعيا شهدت تدفقات سكانية وهجرات بين مختلف شرائح المجتمع مما ساهم في توحيد الاجتماعي والثقافي بين البلدين.
- ثقافيا تنقل العلماء بين البلدين وتبادل المدارس الفقهية بينهم.
- انتشار الطرق الصوفية التي كانت لها عدة فروع في كل من ايالة تونس والمغرب الأقصى مما ساعد على تقارب الديني والعثماني.

Summary: This study aims to identify the relationships that linked the Regency of Tunis with Morocco (al-Maghrib al-Aqsa) during the Ottoman period and to observe the development of relations between the two countries throughout the Ottoman era in its various social, economic, and cultural dimensions.

The problem addressed in this study was: Tunisian-Moroccan relations during the modern period underwent several changes, reflecting the situation of both countries. So, what was the reality of Tunisian-Moroccan relations from the 16th to the 19th century?

Among the most important findings of this study are the following:

- Economically: Trade flourished between the Regency of Tunis and Morocco, including the exchange of various goods and the emergence of new trade routes and markets that contributed to this prosperity.
- Socially: There were population flows and migrations among different segments of society, which contributed to social and cultural unification between the two countries.
- Culturally: Scholars moved between the two countries, and legal schools (madhhabs) were exchanged between them.
- The spread of Sufi orders, which had several branches in both the Regency of Tunis and Morocco, helped to bring about religious and Ottoman rapprochement.